ن والقلم وما يسطرون

٢

رسالة القلم

إسلامية ثقافية شاملة

السنة الأولى ـ ربيع الثاني ١٤٢٦ هـ ـ مايو ٢٠٠٥ م ـ العدد الثاني

- حوار مع سماحة الشيخ محمد صنقور
- التوحيد أساس دعوة الأنبياء
- نفي السهو عن النبي (ص)
- خير الزاد للمسيرة التكاملية
- العلم والعمل
- سوء الظن يمحو الدين ويثير الفتن
- بحث حول روايات المشاهدة

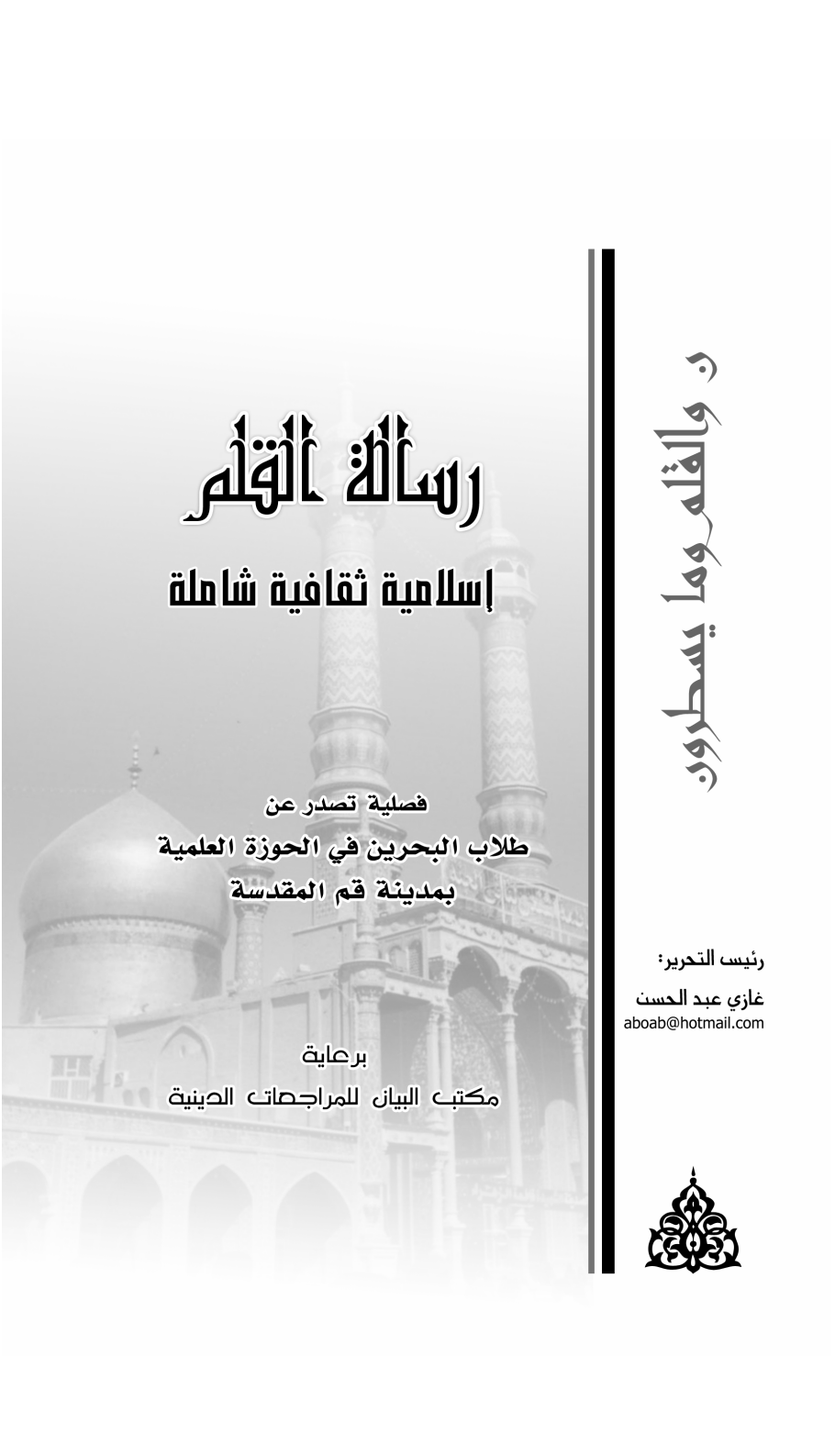

رسالة القلم

إسلامية ثقافية شاملة

فصلية تصدر عن
طلاب البحرين في الحوزة العلمية
بمدينة قم المقدسة

برعاية
مكتب البيان للمراجعات الدينية

ن والقلم وما يسطرون

رئيس التحرير:
غازي عبد الحسن
aboab@hotmail.com

- **حوار مع سماحة الشيخ محمد صنقور**
  حاوره: علي أحمد الجفيري ٣
- **التوحيد أساس دعوة الأنبياء**
  جعفر حسين قمبر الراستي ١٢
- **نفي السهو عن النبي (ص)**
  عبد الرؤوف حسن آل ربيع ١٩
- **وقفات عقائدية في أدعية أهل البيت (ع)**
  جعفر عبد المهدي الشهابي ٣٠
- **تجليات الله في حياة الفرد والمجتمع**
  صادق سليمان الستري ٤١
- **لماذا يقتل الله الأبرياء ؟**
  علي أحمد الكربابادي ٥١
- **الإسلام.. أطروحة متكاملة لإنسان خالد**
  محمد صالح رضي ٥٥
- **العلم والعمل**
  عادل عبد الحسين الهنان ٦٢
- **التحديد الأصيل للمفهوم الإسلامي**
  سيد حسن السيد أحمد الغريفي ٦٩
- **لمن حق الإفتاء ؟؟**
  عزيز حسن سلمان الخضران ٧٤
- **المرأة في المنظور الإسلامي**
  السيد رضا الموسوي ٨٢
- **مقتطفات من هنا وهناك**
  محمود جاسم البصري ٨٨
- **كتب الضلال بين الرفض والقبول**
  غازي عبد الحسن إبراهيم ٩٢
- **سوء الظن.. يمحو الدين ويثير الفتن**
  جاسم بدر عبد الله المطوع ١٠٤
- **خير الزاد للمسيرة التكاملية**
  حسين فؤاد المرزوق ١١١
- **الفريضة المهجورة**
  سيد ياسين سيد قاسم فضل ١٢٠
- **بحث حول روايات المشاهدة**
  محمد علي حسين العريبي ١٢٤
- **شذرات من التراث الأدبي في البحرين**
  فاضل عبد الجليل الزاكي ١٤٢

ما بين ثقافة النمل والنحل

فرق بين أن يكون الإنسان مثقفا، وبين أن يكون واعياً ثقافياً، فالمثقف في المنظور العام - وللأسف الشديد - هو الشخص الذي يمتلك كومة من المعلومات المتنوعة في صندوق العقل بغض النظر عن محتوى تلك المعلومات أو الغاية من جمعها وكيفية توظيفها. بينما الإنسان الذي يعيش الوعي الثقافي، هو ذلك الإنسان الذي يتفاعل مع المفردة الثقافية التي تنسجم مع المحتوى المقدس للقيم الإلهية، والتي تسير نحو القرب الإلهي عن طريق السير التكاملي الفردي والمجموعي، التي تجعل من ذلك الإنسان عنصرا فاعلاً له حضور مع الآخرين، للأخذ بأيديهم نحو الكمال.

أما المثقف الذي يجلس فوق الأبراج العاجية، وينظر للآخرين نظرة دونية، فهو في حقيقته كالنملة التي تعيش الحرص في جمع الطعام لنفسها، أو كدودة القز التي تلف الحرير حول نفسها حتى تموت، فلابد أن يعيش المثقف كالنحلة التي تمتص الرحيق من الزهور، وتصنع منه عسلا. وكلنا أمل بأن تكون هذه المجلة المباركة كخلية نحل تصنع العسل الخالص لينتفع منه الآخرون.

فلذا نتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إنجاح مشروع المجلة من كتاب وعاملين، ونخص بالذكر (مكتب البيان للمراجعات الدينية) و(مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر).

ومنه تعالى نستمد الموفقية والسداد

رئيس التحرير

حوار مع..
سماحة الشيخ محمد صنقور

حاوره: علي احمد الجفيري
aljofairy@hotmail.com

في عصر قد تكالب فيه الأعداء لطمس معالم الدين ومحو آثاره لإطفاء نور الله في أرضه وإعلاء كلمة الكفر والإلحاد، وطغت فيه المادة على المعنى حتى صارت رباً من دون الله يُعبد، وصنما مقدّسا له يُسجد، ونُعت عابده، وذُمَّ نابذه. في هذا العصر، وتحت ظل هذه المعركة يبرز من يتصدى لحمل راية الحقّ جلّ اسمه، ومن يبذل نفسه لتعليم الجهّال، وإرشاد الضال، وإقامة دين الله و شرائع أحكامه.

طالب العلم عنوان مقدّس في نفسه، قد يتلبّس به غير أهله فيختلط بالسمين الغث، وبذي الجودة الرث، ولتشخيص السليم من السقيم ومعرفة الظروف والآليات التي من خلالها ننتهي إلى الطالب الذي يُرضي الله ورسوله ووليّه، يدور الحديث مع سماحة الشيخ محمد صنقور في عدّة أسئلة ترتبط بهذا الجانب.

وقبل الشروع، يجدر بنا أن ننوه بأن هذا الحوار كان مع سماحة الشيخ بشكل كتبي لا تحدّثي، مما فوّت علينا فرصة الاستفادة من سماحة الشيخ أكثر فأكثر، هذا مع كثرة مشاغله وثقل كاهله، مما أدى إلى تقليص مساحة الأسئلة، فنشكره على تفضله وإتاحة هذه الفرصة الثمينة، ونرجو له مزيدا من التوفيق والسداد، في خدمة العباد والبلاد.

في مرحلة ما قبل اتخاذ قرار التعنون بعنوان طالب العلم، يكون الفرد في مقام طرح الحسابات و المعادلات ليستخلص نتيجة معينة وهي إمّا أن تكون تصميما على طلب العلم أو بالعدول عنه نحو الخيارات الأخرى..

● نريد أن نعرف في البداية ما هي المميزات والمؤهلات التي ما إن توفرت في الفرد، أصبح مؤهّلاً لطلب العلم؟

بسم الله الرّحمن الرّحيم

اللهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد

■ إذا أردنا الوقوف على ما ينبغي أن يكون عليه الفرد ليكون مؤهّلاً للتصدي لطلب العلم فلا بد من ملاحظة ذلك من ثلاثة محاور:

الأول يرتبط بالبعد النّفسي والثاني يرتبط بالاستعداد الذهني والثالث يتّصل بالبعد الاجتماعي.

أما البعد الأول، فله اتّصال وثيق باستقامة طالب العلم وتوازنه.

والبعد الثاني، يتحدّد به المستقبل العلمي لطالب العلم.

وأما البعد الثالث، فيُساهم في تأهُّل طالب العلم للتبليغ والوعظ وتربية المجتمع.

وقبل أن أقف معكم على هذه المحاور أو الأبعاد الثلاثة أودُّ أن أؤكّد على أن ما سأذكره لا يعبِّر عن اتصافي بما سأسوقه من حديث، فأنا مثال لقول الشاعر:

كالعيس في الصحراء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمولُ

أما المحور الأول: والذي يتصل بالبعد النفسي فيمكن إجمال المؤهّلات المتّصلة بهذا البعد في عنوان الاستعداد الذاتي، ولهذا العنوان مجموعة من المقوِّمات:

المقوِّم الأول: هو اتّزان النفس واستقامة السليقة وعدم الابتلاء بالعُقَد أو مركّبات النقص، إذ أنَّ لذلك أثراً سيئاً على الذات لا يكاد يواريه العلم والتنسُّك.

المقوِّم الثاني: طهارة الروح وعدم الابتلاء بمعصية من المعاصي الكبيرة، إذ أن لذلك انعكاسات نفسية تلقي بظلالها القاتم على الذات حتى في المراحل الأخيرة من العمر.

المقوِّم الثالث: استعداد النفس وتأهلها للاشتمال على ملكات خاصة من قبيل سعة الصدر والصبر والشجاعة الأدبية والتأنِّي والتروِّي والقدرة على التركيز بل ومجموع المكارم والأخلاق الفاضلة، فما لم تكن النفس مؤهلة للاشتمال على هذه الملكات فإن التهذيب والتعلم لن يُجدي معها نفعاً.

المقوِّم الرابع: علوُّ الهِمَّة والطموح الرحيب، فكلما تسامت النفس في طموحها وتعالت همَّتها كلَّما كانت أكثر استعداداً لتلقي المعارف وأكثر استجابة للتعاطي والتفاعل معها، فهي في نهم وظمأ دائم، فكلَّما ارتوت ظمئت.

عندما لا تكون النفس كذلك فإنها لن تكون مؤهلة للتصدي لطلب العلم، إذ أنّها لن تقوى على متابعة الطريق، فالنفس الخائرة والمتبلِّدة تُربكها الصعوبات ويحول بينها وبين الاستمرار الضجرُ والسأَمُ، فهي منحلة القوى خائرة العزم تأنس بالصوارف وتُطربها الشواغل ويبرمها الجدُّ فليس من شيء أشقَّ عليها من التحصيل والبحث والمطالعة.

كلما سمت النفس في طموحها وعلت همّتها كلما كانت أكثر استعداداً لتلقي العلم

وأمّا المحور الثاني: والذي يرتبط بالاستعداد الذهني فمقوِّمه الأساسي هو جودة الفهم والقدرة المتميزة على الاستيعاب، فما لم يكُن المتصدي لطلب العلم واجداً لهذه الملكة فإن مآل جهده وعنائه إلى غير نتيجة، ذلك لأن المعارف الدينية متشعّبة وذاتُ تفاصيلَ واسعة وهي من الدقة والعمق بمستوىً، تتصاغر دونها الكثير من العلوم والمعارف، فالأجدر بمن يحترم نفسه أن لا يزجَّ بها في هذا الطريق الشائك ما لم يكن واجداً للملكة التي تؤهله لمتابعة هذا الطريق.

وأما المحور الثالث: والذي يتصل بالبعد الاجتماعي فأرى أنه الذي ينبغي أن يكون عليه المريد للتصدي لطلب العلم مجموعة أمور:

الأول: أن لا يكون مشتهراً قبل التصدي لطلب العلم بالمعصية، إذ أن ذلك سوف يحول دون قبول وعظه وإرشاده بل إن دخوله في هذا السلك حتى بعد توبته موجب لتوهينه.

الثاني: أن لا يكون متَّصفاً قبل التصدي لطلب العلم بسوء الخلق البيِّن.

الثالث: أن لا يكون ضعيف الشخصية في الوسط الاجتماعي فإن انعكاسات ذلك اجتماعياً ستظلّ ماثلة حتى بعد تصديه لطلب العلم وهو ما سيؤثر في قدرته على التأثير.

● **الشروط والمؤهلات التي تفضلتم بها، هل يكفي اجتماع بعضها للتأهيل أم لا بد من اجتماعها كلها؟**

■ أرى من اللازم توفُّر طالب العلم عليها جميعاً.

● **من الذي يحدد ويشخص صلاح طلب العلم لفلان أو لغيره، نفس الشخص أم أحد غيره؟**

■ المناسب هو أن يساهم في تشخيص ذلك أهل الخبرة في هذا المجال إذ أن كثيراً ما يغفل الإنسان عن ذاته واستعداداته على أن

المريد للتصدي لطلب العلم غالباً ما يكون جاهلاً بطبيعة هذا الطريق ومقتضياته وتبعاته.

● ما هي السلبيات التي يمكن أن تنتج عن دخول غير المؤهل هذا المجال؟

■ السلبيات تختلف في طبيعتها باختلاف العناصر المفقودة في الشخصية المبتغية للتصدي لطلب العلم، إلاّ أنها جميعاً تشترك في تأثيرها السيئ على العمل الديني التبليغي، وإن كانت تتفاوت في ذلك فقد يساهم تصدي غير المؤهل في إضعاف هذا الخط وهو ما ينتج الإضعاف من العمل التبليغي، وقد يساهم في إرباكه وهو ما ينتج التأخير في عملية البناء الاجتماعي على أساس ديني، وهكذا.

ولا بأس من نقل هذه الرواية الواردة عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (أوحى الله إلى داوود عليه السلام: لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي، فإنّ أولئك قطاع طريق عبادي المريدين، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم) [1].

● من المهم بعد اتخاذ القرار معرفة الهدف من طلب العلم، فما هي الغاية من طلب العلم سماحة الشيخ؟

■ يمكن تلخيص الغاية من طلب العلم في أمرين:

الأول: تمكين النفس من التعرف على سبل الوصول إلى الهداية والكمال.

الثاني: المساهمة في هداية الناس والتي هي وظيفة الأنبياء والأولياء، وأرى أن ما روي عن أمير المؤمنين يعبِّر عن هذه الغاية أبلغ تعبير، لذلك نكتفي بنقلها:

عن الأصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام: (تعلّموا العلم فإنّ تعلمه حسنة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلَمه صدقه، وهو عند الله لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام، وسالك بطالبه سبل الجنة، وهو أنيس في

الوحشة وصاحب في الوحدة، وسلاح على الأعداء، وزين الأخلاء، يرفع الله به أقواماً يجعلهم الخير أئمة يُقتدى بهم، وتُرمق أعمالهم، وتقتبس آثارهم، وترغب الملائكة في خلتهم، يمسحونهم بأجنحتهم في صلاتهم، لأن العلم حياة القلوب ونور الأبصار من العمى وقوة الأبدان من الضعف، ويُنزل الله حامله منازل الأبرار ويمنحه مجالسة الأخيار في الدنيا والآخرة. بالعلم يُطاع الله ويُعبد، وبالعلم يُعرف الله ويُوّحد وبالعلم توصل الأرحام وبه يُعرف الحلال والحرام، والعلم إمام العقل والعقل تابعه، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء) [٢].

● في بدايات طلب العلم بالنسبة للطالب الجديد يكون الحماس في أوجه، والرغبة في التحصيل في أعلى مستوياتها، ولكن من الملاحظ تراجع هذا المستوى من الطلب بعد حين عند الكثيرين. نريد معرفة السبب وعلاجه؟

■ إذا لم يكن المنشأ لذلك عارضاً فالسبب هو افتقاره للاستعداد الذي فصّلناه في الجواب الأول، والعلاج هو أن يحترم نفسه ويلتمس طريقاً آخر لعله يكون نافعاً فيه.

● كما تعلمون سماحتكم أن التيارات عديدة، والمشارب كثيرة ويأتي الطالب من دون موجه ليختار لنفسه تيارا من التيارات، ومشربا من المشارب بما ينسجم ورآه الفكرية والشخصية، ونتيجة ذلك كما هو واضح سلبية جدا، فما هو حل ذلك بنظركم وما الذي ينبغي أن يقال في ذلك؟

■ أرى أن طالب العلم إذا أراد أن يكون منتجاً أن يشتغل في مرحلة الدراسة بأمرين لا ثالث لهما:

الأول هو تزكية نفسه والثاني هو تنمية مستواه العلمي، والاشتغال بغير ذلك سوف يحول دون وصوله لغايته على أنه سيجد نفسه مكبلاً بمتبنيات كان قد تبناها على غير دراية وحينئذٍ يصعب عليه التخلّي

عنها، وقد تساهم في تأطيره وتلوينه اجتماعياً بلون خاص وهو ما قد يمنع من قدرته على التأثير، هذا مضافاً إلى أن الانخراط في هذا الاتجاه أو ذاك يجعل من شخصية الطالب شخصية تصنيفية ـ إذا صح التعبير ـ تُمايز بين الناس على أساس فئوي ويشغلها أن يتبنى الآخرون ما يتبناه التيار الذي تنتمي إليه ويسوؤها أن لا يكونوا كذلك حتى وإن كانوا صالحين، تستشعر التعاطف والحب مع كل من يتبنى خطها وإن لم يكونوا أسوياء، وتستعشر النفور من كل أحد لا يتبنى رؤاها وإنْ كان سوياً صالحاً.

● **من أين يأخذ الطالب منهجيته العلمية و العملية، و هل تختلف هذه المنهجية باختلاف الهدف والتخصص؟**

■ ثمة وسائل أرى أن التوسل بها يُساهم في نجاح طالب العلم على المستوى العلمي والعملي.

الأول: الإكثار من قراءة كتب الحديث خصوصاً المتصدي منها للوعظ والحكمة، والسعي من أجل تمثُّلِها.

الثاني: الحرص على ملاحقة تجارب العلماء الذين عُرفوا بإنجازاتهم العلمية أو الاجتماعية.

الثالث: قراءة سير الصالحين من العلماء وغيرهم.

الرابع: استشارة ذوي الخبرة في كيفية التحصيل وفي ترتيب الأولويات، فإن ذلك سوف يوفِّر على الطالب الكثير من الجهد والوقت.

بنظري أنّه على الطالب إذا أراد أن يكون ناجحاً أن يُحدِّد لنفسه مساراً وهدفاً في وقت مبكِّر، ذلك لأن العلوم متشعبة وواسعة والعمر قصير والفرصة لا تكون متاحة في كل وقت.

● **نريد أن تشيروا إلى المشاكل و الأمراض الروحية و الخلقية التي من الممكن أن تصيب الطالب ليكون منها على حذر.**

■ أرى أن أقرب الأمراض إلى طالب العلم وأكثرها استعصاءً

وخطورة هي ثلاثة:

الأول: العجب بالنفس.

الثاني: الحسد.

الثالث: الضجر والسأم.

ويكفي لهلاك طالب العلم وانسلاب التوفيق عنه أن يتمكَّن واحدٌ من هذه الأمراض من نفسه.

● كلمة أخيرة تودون من خلالها تنوير الطلبة لا سيما الجدد منهم.

■ تذكروا أيها الأخوة الأعزاء أن أقصر الطرق الموصلة للنجاح وأنجعها هو التوفيق الإلهي فاجتهدوا في تحصيل أسبابه ومقتضياته الدعاء وصفاء النفس واجتناب المعصية وقضاء حوائج المؤمنين والتوسُّل بأهل البيت عليهم السلام وهو أسرعها أثراً.

أرى أن أختم حديثي معكم بروايتين وردتا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (طلبة العلم ثلاثة فاعرفهم بأعيانهم وصفاتهم:

صنفٌ يطلبه للجهل والمراء، وصنف يطلبُه للاستطالة والختل وصنف يطلبه للفقه والعقل. فصاحب الجهل والمراء مؤذٍ ممارٍ مُتعرِّض للمقال في أندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم، قد تسربل بالخشوع وتخلّى من الورع، فدقّ الله عن هذا خيشومه وقطع منه حيزومه.

وصاحب الاستطالة والختل ذو خِبٍّ وملق، يستطيل على مثله من أشباهه ويتواضع للأغنياء من دونه، فهو لحلوائهم هاضم ولدينهم حاطم فأعمى الله على هذا خُبره وقطع من آثار العلماء أثره.

وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر، قد تحنّك في برنسه وقام الليل في حندسه يعمل ويخشى وجِلاً داعياً مُشفِقاً مُقبِلاً على شأنه عارفاً بأهل زمانه مستوحشاً من أوثق إخوانه فشدّ الله من هذا أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانه) [٣].

عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: (يا طالب العلم إنّ العلم ذو فضائل كثيرة، فرأسه التواضع وعينه البراءة من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله معرفة الأشياء والأمور، ويده الرحمة ورجله زيارة العلماء، وهمّته السلامة، وحكمته الورع، ومستقرُّه النجاة وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلمة، وسيفه الرضا وقوسه المدارة، وجيشه مجاورة العلماء، وماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذنوب وزاده المعروف ومأواه الموادعة، ووليه الهدى، ورفيقه محبة الأخيار) .

والحمد الله رب العالمين

❖❖❖

الهوامش:

١ ـ الكافي ١: ٤٦، باب المستأكل بعلم.

٢ ـ بحار الأنوار ١: ١٦٦ .

٣ ـ الكافي ١: ٤٩ .

أرى أن طالب العلم إذا أراد أن يكون منتجاً أن يشتغل في مرحلة الدراسة بأمرين لا ثالث لهما:

الأول: هو تزكية النفس.

الثاني: هو تنمية مستواه العلمي.

التوحيد
أساس دعوة الأنبياء

جعفر حسين قمبر الراستي
Gafar١٩٧٣٢٠٠٠@hotmail.com

التوحيد ونبذ الشرك من أهم المسائل الإعتقادية التي تصدّرت المفاهيم والتعاليم السماوية على الإطلاق، ويُعدُّ أساسا لسائر التعاليم والمعارف الإلهية العليا التي جاء بها أنبياء الله ورسله في ما أوتوا من كتب.

ثم إن مسألة التوحيد والشرك من المسائل التي اتفق فيها جميع المسلمين ولم يختلف في أصولها أحد منهم، فهم عن بكرة أبيهم يوحدون الله سبحانه من حيث الذات والفعل والعبادة.

فالله سبحانه ـ عندهم جميعاً ـ واحد في ذاته لا نظير له في الوجود ولا مثيل، كما أنه هو المؤثر والفاعل الحقيقي والخالق الواقعي في كل ما نسيمه فاعلا وخالقاً.

فلو كان هناك فاعل سواه أو خالق غيره، فإنما يفعل ويخلق بقدرته سبحانه وإرادته كما أنه هو المعبود الوحيد لا معبود سواه، ولا تحل عبادة غيره على الإطلاق. كل ذلك مما يؤيده الكتاب والسنة والعقل والإجماع.

هذا وبما أن للتوحيد مراتب قد فصلها علماء الإسلام في كتبهم الكلامية والإعتقادية نأتي بها ـ هنا ـ علي سبيل الإجمال، ونردف كل

قسم من تلك الأنواع بما يدل عليه من القرآن الكريم غير أننا نركز البحث على (التوحيد في العبادة) الذي صار ذريعة بأيدي البعض.

فنقول: للتوحيد مراتب عديده هي:

الأولى: التوحيد في الذات:

والمراد منه هو أنه سبحانه واحد لا نظير له، فردٌ لا مثيل له، بل لا يمكن أن يكون له نظير أو مثيل. ويدل عليه ـ مضافاً إلي البراهين العقلية ـ قوله تعالى:

﴿قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ ۞ الله الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الله الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[1]

الثانية: التوحيد في الخالقية:

والمراد منه هو أنه ليس في صفحة الوجود خالق أصيل غير الله، ولا فاعل مستقل سواه سبحانه، وأن كل ما في الكون من كواكب وأرض وجبال وبحار، وعناصر ومعادن، وسحب ورعود، وبرق وصواعق، ونباتات وأشجار، وإنسان وحيوان، وملك وجن، وكل ما يطلق عليه أنه فاعل وسبب فهي موجودات غير مستقلة التأثير، وإن كل ما ينتسب إليها من الآثار ليس لذوات هذه الأسباب بالاستقلال، وإنما ينتهي تأثير هذه المؤثرات إلى الله سبحانه. فجميع هذه الأسباب والمسببات ـ رغم ارتباط بعضها ببعض ـ مخلوقة لله، فإليه تنتهي العلّية، وإليه تؤول السببية وهو معطيها للأشياء، وهو مجرد الأشياء من آثارها إن شاء:

ويدل على ذلك - مضافاً إلى الأدلة العقلية- قوله سبحانه: ﴿قُلِ الله خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[2]

وقوله سبحانه: ﴿الله خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[3]

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ الله رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾[4]

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الله الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾[٥]

الثالثة: التوحيد في الربوبية والتدبير:

والمراد منه هو أن للكون مدبراً واحداً، و متصرفاً واحداً لا يشاركه في التدبير شيء، فهو سبحانه المدبر للعالم، وإن تدبير الملائكة وسائر الأسباب بعضها لبعض إنما هو بأمره سبحانه. وهذا على خلاف ما كان يذهب إليه بعض المشركين حيث كان يعتقد أن الذي يرتبط بالله تعالى إنما هو الخلق والإيجاد والابتداء وأما تدبير الأنواع والكائنات الأرضية فقد فوض إلى الأجرام السماوية والملائكة والجن والموجودات الروحية التي كانت تحكي عنها الأصنام المعبودة و ليس له أي دخالة في أمر تدبير الكون وإدارته وتصريف شؤونه.

إن القرآن الكريم ينص ـ بمنتهى الصراحة ـ على أن الله هو المدبر للعالم، وينفي أي تدبير مستقل لغيره سبحانه، وأنه لو كان هناك مدبر سواه فإنما يدبر بأمره.

قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ الله الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ الله رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾[٦]

وقال تعالى: ﴿الله الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[٧]

الرابعة: التوحيد في التشريع والتقنين:

لا يشك عاقل في أن حياة الإنسان الاجتماعية تحتاج إلى قانون ينظم أحوال المجتمع البشري وأوضاعه ويقوده إلى الكمال الذي خلق له.

غير أن القرآن الكريم لم يعترف بتشريع للبشرية سوى تشريع الله

سبحانه ولا قانون سوى قانونه، فهو يراه المشرع الوحيد الذي يحق له التقنين خاصة، و غيره المنفذ للقانون الإلهي المطبق لتشريعه.

وقد وردت في هذا الصدد آيات في الذكر الحكيم نكتفي بإدراج قسم منها:

قال سبحانه: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ الله بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(٨)

فالمراد من حصر الحاكمية على الله هو حصر الحاكمية التشريعية عليه سبحانه، فالآية تهدف إلى أنه لا يحق لأحد أن يأمر و ينهى ويحرّم و يحلل سوى الله، ولأجل ذلك قال بعد قوله: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ... أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(٩)

وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ الله فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ الله فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ الله فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(١٠)

والآيات هذه وإن كانت تصف الحكم بغير ما انزل الله بالصفات الثلاث لا المقنن والمشرع البشري غير أنها تدل تلويحاً على حرمة نفس التقنين بغير إذنه لأن الهدف من تشريع الأحكام وتقنين القوانين جعلها وسيلة للحكم والقضاء، وإلاّ فالتشريع والتقنين بدون التنفيذ والتطبيق لا يحوم حوله عاقل.

فهذه المقاطع الثلاثة توضح أن ممنوعية التقنين والتشريع بهدف الحكم على وفقه كانت موجودة في الشرائع الإلهية السالفة أيضاً، وما ذلك إلاّ لأجل أن التقنين أولاً، والحكم ثانياً حقٌ مخصوص بالله، لم يفوّضه إلى أحد من خلقه ولأجل ذلك يصف المبدل للنظام الإلهي

بالكفر تارة وبالظلم أخرى و بالفسق ثالثة.

فهم كافرون لأنهم يخالفون التشريع الإلهي بالرد والإنكار والجحود. وهم ظالمون لأنهم يسلمون حق التقنين الذي هو خاص بالله إلى غيره. وهم فاسقون لأنهم خرجوا بهذا الفعل عن طاعة الله سبحانه.

وأما ما يفعله العلماء والفقهاء فهو تخطيط كل ما يحتاج إليه المجتمع الإسلامي في إطار القوانين والضوابط الإلهية والإسلامية وليس ذلك بتشريع أو تقنين.

الخامسة: التوحيد في الطاعة:

والمراد منه أنه ليس هناك من تجب طاعته بالذات إلاّ الله تعالى فهو وحده الذي يجب أن يُطاع، وهو وحده الذي يجب أن تمتثل أوامره وأما طاعة غيره فتجب بأذنه وأمره، وإلا كانت محرمة، موجبة للشرك.

ولأجل ذلك نجد القرآن الكريم يطرح مسألة الطاعة لله وحده مصرحاً بانحصارها فيه إذ يقول: ﴿فَاتَّقُوا الله مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لأنفُسِكُمْ﴾[11]

ثم يصرح القرآن الكريم بأن النبي لا يطاع إلاّ بأذنه سبحانه إذ قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ الله﴾[12]

وعلى ذلك فكل من افترض الله طاعته، والانقياد لأوامره، والانتهاء عن مناهيه فلأجل إذنه سبحانه.

فإطاعة النبي وأولي الأمر، والوالدين وغيرهم إنما لأجل إذنه وأمره سبحانه ولولاه لم تكن لتجوز طاعتهم، والانقياد لأوامرهم.

وعلى الجملة فها هنا مطاع بالذات وهو الله، وغيره مطاع بالعرض وبأمره، وأما علة اختصاص الطاعة ووجهه فبيانه موكول إلى الكتب الكلامية.

السادسة: التوحيد في الحاكمية:

لا يشك أي عاقل يدرك أن الحكومة حاجة طبيعية يتوقف عليها

حفظ النظام في المجتمع البشري، وقيام الحضارة والمدينة، وتعريف أفراد المجتمع بواجباتهم ووظائفهم، ومالهم وما عليهم من الحقوق.

وحيث أن أعمال الحكومة والحاكمية في المجتمع لا ينفك عن التصرف في النفوس والأموال وتنظيم الحريات وتحديدها أحيانا والتسلط عليها، احتاج ذلك إلى ولاية بالنسبة إلى الناس، و لولا ذلك لعدّ التصرف عدواناً.

وبما أن جميع الناس سواسية أمام الله، والكل مخلوق له بلا تمييز فلا ولاية لأحد على أحد بالذات، بل الولاية لله المالك الحقيقي للإنسان والكون والواهب له وجوده وحياته. فلا يصح لأحد الإمرة على العباد إلا بإذن من الله سبحانه.

فالأنبياء والعلماء والمؤمنون مأذنون من قبله سبحانه في أن يتولوا الأمر من جانبه ويمارسوا الحكومة على الناس من قبله. فالحكومة حق مختص بالله تعالى والإمارة ممنوحة من جانبه. قال سبحانه: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(١٣)

والحكم له معنى وسيع أوسع من القضاء والتشريع والتقنين وما ذلك إلاّ لكون السلطة والحاكمية بجميع أبعادها بيده:

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾(١٤)

﴿أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾(١٥)

نعم إن اختصاص حق الحاكمية بالله سبحانه ليس بمعنى قيامه شخصياً بممارسة الإمرة، بل المراد أن من يمثل مقام الإمرة في المجتمع البشري يجب أن يكون مأذوناً من جانبه سبحانه لإدارة الأمور والتصرف في النفوس والأموال، ولأجل ذلك نرى أنه سبحانه يمنح لبعض الأنبياء حق الحكومة بين الناس إذ يقول:

﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ

﴿وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ الله﴾[١٦]

ولأجل ذلك يجب أن تكون الحكومة في المجتمع الإسلامي مأذونة من قبل الله سبحانه ممضاة من جانبه وإلاّ كانت من حكم الطاغوت الذي شجبه القرآن في أكثر من آية.

السابعة: التوحيد في العبادة:

والمراد منه حصر العبادة لله سبحانه وحده، وهذا هو الأصل المتفق عليه بين جميع المسلمين بلا اختلاف منهم قديماً وفي هذا العصر فلا يكون المسلم مسلماً إلاّ بعد الاعتراف بهذا الأصل.

❖❖❖

الهوامش:

١ ـ الزمر: ٤.

٢ ـ الرعد: ١٦.

٣ ـ الزمر: ٦٢.

٤ ـ الأنعام: ١٠٢.

٥ ـ الحشر: ٢٤.

٦ ـ يونس: ٣.

٧ ـ الرعد: ٢.

٨ ـ يوسف: ٤٠.

٩ ـ المائدة: ٥٠.

١٠ ـ المائدة: ٤٤، ٤٥، ٤٦.

١١ ـ التغابن: ١٦.

١٢ ـ النساء: ١٤.

١٣ ـ يوسف: ٤٠.

١٤ ـ الأنعام: ٥٧.

١٥ ـ الأنعام: ٦٢.

١٦ ـ ص: ٢٦.

نفي السهو عن النبي (ص)

عبد الرؤوف حسن آل ربيع
a_raoof١٤@hotmail.com

✍ يدخل بحث (سهو النبي) وبتوسّع أكثر (سهو المعصوم) في الكتب الكلاميّة عادةً ضمن مباحث العصمة، وقد دار الاختلاف فيه بين الفرق الإسلامية تبعاً لاختلافهم ـ سعةً وضيقاً ـ في فهم العصمة ومساحتها.

ويمكن تناول هذا الموضوع في عدّة مجالات ومراحل من مراتب العصمة، وأهمّها مرحلة تلقّي الوحي وإبلاغه، ومرحلة تطبيق الشريعة والأمور الحياتية العاديّة و التي يعبرّ عنها أيضاً بـ (الأمور الخارجية) .

ولعلّ هذه الأخيرة هي المعنيّة بالنظر والتركيز أكثر لكون الأولى متفق عليها تقريباً إلاّ ما شذ وندر.

ونسترعي الانتباه هنا إلي أن المقصود من (سهو النبي) لا يراد منه التخصيص بالنبي الخاتم صلى الله عليه وآله دون سائر الأنبياء عليهم السلام، بل الموضوع يشملهم جميعا عليهم السلام وإن كان ينصب بالدرجة الأولى عليه صلى الله عليه وآله .

إمكان السهو أو عدمه في تبليغ الرسالة:

نعني من لفظ تبليغ الرسالة التعبير المختزن لتلقّي الوحي وتحمّله وعياً وأداءه بلاغاً، والفرق الإسلامية في هذه المرتبة تتفق في عدم إمكان السهو، خاصةً في التلقّي والتحمّل، أمّا في الأداء فجوّز النادر:

((وأما النوع الثاني وهو ما يتعلق بالتبليغ فقد اتفقت الأمّة، بل

جميع أرباب الملل والشرائع على وجوب عصمتهم عن الكذب والتحريف، فيما يتعلّق بالتبليغ عمداً أو سهواً إلاّ (القاضي أبو بكر الباقلاني) فإنه جوّز ما كان من ذلك على سبيل النسيان و فلتات اللسان...))[1].

واتفاقهم يغنينا عن عرض الأدلّة المسهبة لإثبات ذلك رغم وفرتها فنكتفي بدليلين، أحدهما عقليّ والآخر نقلي من الكتاب الكريم:

١ـ ضرورة صيانة الوحي على الله تعالى وإلاّ لزم نقض الغرض:

وتوضيح ذلك: أن الإنسان لا يستطيع الوصول لكماله الاختياري المنشود إلا عبر الاهتداء بتعاليم وقيم الرسالات السماوية. وهذه التعاليم حتى تصل إليه تمرّ بعدّة وسائط، أو على أقل تقدير واسطة واحدة، فإذا أمكن لهذه الوسائط السهو والغفلة والوقوع في الاشتباه! إذن ما الضامن الذي يجزم وصول كل التعاليم صحيحة وخالية من الخطأ؟ والحال أن الله تعالى يريد إيصالها سليمة ليتحقّق هدفه من الخلق وتنفذ حكمته. فلا بد إذن أن تكون الوسائط ومنها الوحي وحامله مصونة، وإلاّ بطل غرضه سبحانه. إلاّ بالقول بضعف إرادة الله عن ذلك وقصور علمه عن إدراك الواسطة المناسبة أو إيجادها، وهذا محالُ عليه جلّ وعلا.

٢ـ قوله تعالي: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۞ إِلا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۞ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[2].

التوضيح: الآية صريحة في وجود حفظة من الملائكة من قبل الله تعالى تقوم بمتابعة إبلاغ الوحي، وهو سبحانه من فوقهم جميعاً محيط ومشرف على سلامة الإيصال من البداية إلى النهاية.

إشكالان في المقام:

حاول البعض الاستدلال على إمكان السهو على النبي في تبليغ الرسالة استنادا إلى بعض الآيات، إلاّ أن النظر فيها يكشف وهم ووهن ذلك، منها:

١ـ ﴿سَنُقْرِؤُكَ فَلا تَنسَى ۞ إِلا مَا شَاء الله..﴾[٣].

بتقريب: أن الآية معلّقة على الاستثناء، وهذا يعني إمكان السهو على النبي.

الجواب: التعليق على المشيئة لا ينافي العصمة عن السهو، فالمراد من الآية هو أنّ الله سبحانه عندما يُقريء النبي بحيث لا ينسى لا يعني ذلك أنه غير قادر على إنساءه متى شاء وأراد، بل هو سبحانه في وسعه ذلك وإن كان لا يشاء[٤]. ونجد شبيهاً لهذا الاستثناء في آية أخرى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[٥]. فعلى الرغم من خلود هذا العطاء وخلود الجنّة إلا أن الاستثناء واردٌ فيها، وهو يشير إلى نفس التوجيه في الآية السابقة.

٢ـ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٦].

بتقريب: ورود نهيّ في حقّ النبي صلى الله عليه وآله عن القعود مع الثلّة المذكورة ولكنه نسي.

الجواب: أن هذه الآية هي إحدى الآيات التي يكون الخطاب فيها موجهاً للنبي ولكن المقصود منها أبناء الأمّة، ويؤكّد هذا المعنى قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ الله يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾[٧]. فقوله سبحانه: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ..﴾ فيه إشارة إلى أن هذا

الحكم قد سبق ونزل عليكم من قبل ـ ويعني به الآية الأولى المذكورة في الإشكال ـ خاصةً إذا عرفنا أنّ الآية الأولى مكيّة، والثانية مدنية[٨].

إمكان السهو وعدمه في الأمور الخارجية ومجال التطبيق:

جرى الكلام كثيراً عند المتكلمين حول عصمة الأنبياء عليهم السلام عن السهو فيما يتعلّق بشؤون حياتهم العاديّة وقضاياهم اليوميّة وفي تشخيصاتهم الخارجية كمعرفة أن هذا السائل خمر أو خل، وكذلك في حقل القضاء وفضّ المنازعات، والحصيلة هي عدم الاتفاق على رأي واحد، فظاهر المعتزلة والأشاعرة هو التجويز، وكتبهم تطفح بالروايات والأخبار الدالة على مختارهم، جاء في المواقف: «أما الكبائر عمداً فمنعه الجمهور، والأكثر على امتناعه سمعاً، وقالت المعتزلة ـ بناء على أصولهم ـ يمتنع ذلك عقلاً، وأمّا سهواً فجوّزه الأكثرون، وأمّا الصغائر عمداً فجوّزه الجمهور إلاّ الجبائي، وأمّا سهواً فهو جائز اتفاقاً،إلاّ الصغائر الخسيسة كسرقة حبّه أو لقمة»[٩].

فإذا كان السهو في الصغائر عندهم متفق عليه، وفي الكبائر أيضاً عند الأكثر، فمن الأولى تجويزهم السهو في الموضوعات الخارجيّة ومجال التطبيق.

أمّا الإمامية فمختارهم هو عصمة النبي عن السهو في هذه المرتبة أيضا، نعم شذ منهم البعض كالشيخ الصدوق وشيخه ابن الوليد فإنّهما جوّزا الإسهاء لا السهو، والشيخ الطبرسي في تفسيره.

مستمسك القائلين بجواز السهو في الأمور الخارجية والدليل النقضي عليه:

عماد ما يرتكز عليه القائلون بالجواز هو التمسّك والتعبّد ببعض الآيات والروايات الواردة فيها لفظ النسيان أو ما في معناه، مثل:

١ـ قول النبي موسى عليه السلام في سورة الكهف: ﴿**لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ..**﴾[١١].

ويلاحظ على ذلك: أن هذه الآية وأمثالها من الآيات لا تدل ضرورة على معنى النسيان المتعارف، فقد يكون بمعنى الترك أو معنى آخر فآيات القرآن لما لها من الدقة في البيان والتصوير الفني والبلاغي الفائق والمحير للألباب لا ينبغي أخذ معانيه بهذه البساطة وإلاّ يلزم الوقوع في عدّة محاذير يخالف بعضها صريح المعتقد، فكثيراً ما ترد مفردة قرآنية تحتمل أكثر من معنى ككلمة (غوى) على سبيل المثال فأحياناً تأتي بمعنى الإلقاء بالنفس في المشقّة والتعب، وتارةً بمعنى التيه في الطريق، وأخرى بمعنى إفساد هناء العيش ورغده وغيرها، فإذا كانت هذه المعاني بعضها يستلزم الخدش في عصمة الأنبياء وبعضها لا يخدش. اللازم هنا هو طرح تلك المعاني الخادشة واللجوء إلى غيرها ممّا يُبقي ساحة العصمة محفوظة ومنزّهة. وإن قيل: التبادر يقود إلى المعنى الأوّل. فالجواب: نستطيع التمسّك بالآيات الأخرى الصريحة الدالة على عصمة الأنبياء بدون تقييد كقرينة صارفة عن المعاني التي تنسب النقص والنسيان وما شابه، ونثبت محلّها المعاني الأخرى وهكذا. وصاحب الميزان (أعلى الله مقامه) استطاع في جميع هذه الآيات أن يخرج ساحة الأنبياء من النقص بأجلى صورة.

٢. قصّة ذي اليدين مع النبي صلى الله عليه وآله، التي تناقلتها الكتب الروائية عند السنّة والشيعة بطرق ومضامين مختلفة كهذه الرواية:

«ما رواه في الكافي عن محمد بن يحيى عن ابن عيسى عن علي بن النعمان عن سعيد الأعرج قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: صلى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم سلّم في ركعتين فسأله من خلفه يا رسول الله صلى الله عليه وآله أحدث في الصلاة شيء؟ قال: وما ذاك؟ قالوا إنما صلّيت ركعتين، فقال: أكذاك يا ذا اليدين، وكان يدعى ذا الشمالين، فقال: نعم، فبنى على صلاته فأتم الصلاة أربعاً، وقال إن الله هو الذي أنساه رحمة للأمة، ألا

ترى لو أن رجلاً صنع هذا لعُيّر وقيل ما تقبل صلاتك، فمن دخل عليه اليوم ذلك، قال: قد سن رسول الله ﷺ وصارت أسوة وسجد سجدتين لمكان الكلام»[١٢].

يلاحظ عليها:

أ ـ الروايات المتضمنة لهذه القصّة مضطربة كثيراً من عدة جهات، من حيث تعيين نوع الصلاة، ومن حيث زيادة الركعة أو نقصانها، أو أنها ركعة أو اثنتين، ولا تخلو من تناقضات ومخالفات لبعض الأحكام الواضحة كالكلام العمدي في الصلاة و الأدهى من ذلك احتواء بعضها على إشارات غير لائقة برجلٍ مؤمن فضلاً عن الرسول الأعظم ﷺ كالغضب في غير مورده و بدون داعٍ.

ب . إن شخصيّة ذي اليدين أو ذي الشمالين مجهولة وغير معروفة وأكد ذلك الشيخ المفيد (ره).

ج ـ مخالفة ذلك للروايات الصريحة الدالة بوضوح على أنه ﷺ لم يسه في صلاته، مثل ما رواه في التهذيب بإسناده عن محمد بن علي بن محبوب عن أحمد بن محمد عن الحسن بن محبوب عن عبد الله بن بكير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام هل سجد رسول الله ﷺ سجدتي السهو قط؟ فقال: لا، ولا سجدها فقيه».[١٣]

د ـ أنها من أخبار الآحاد الغير مثمرة[١٤]، وأنّها غير قابلة للتصديق من نفسها، يقول السيّد الخوئي (قده) حولها: «إن هذه الروايات في أنفسها غير قابلة للتصديق، وإن صحّت أسانيدها لمخالفتها لأصول المذهب، على أنها معارضة في موردها بموثقة زرارة... فلا بد من ارتكاب التأويل أو الحمل على التقية أو الضرب عرض الجدار».[١٥]

الأدلّة الجلّيّة على نفي السهو في الأمور الخارجية:

وهي عدّة، نذكر سبعة منها:

١ـ أن العصمة لازمة للنبي لكي يثق الناس به فيتحقق الغرض من

البعثة، ولهذا لا يصح عليه السهو في مجال الوحي كما ذكر سالفاً وحينها يُسأل: هل العرف عند غالب الناس وعامّتهم يفرّق بين السهو في مجال الوحي وبين السهو في غيره؟ من الواضح أنهم، وهم أكثراً المخاطبين بالرسالة، لا يميزون بين ذلك. فيكون السهو في المواضيع الخارجية عندهم دليلاً على إمكانه في سائر المجالات و منها الوحي والتبليغ وبالتالي ينتقض الغرض، ويبدو أن الشيخ الطوسي (ره) ذكر هذا الدليل بشكلٍ عام لسائر مجالات العصمة و لم يفرّق بينها، يقول: «ويجب في النبي العصمة ليحصل الوثوق فيحصل الغرض».[١٦].

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ الله عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ الله عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ الله عَلَيْكَ عَظِيماً﴾[١٧]. فبالالتفات إلى أن سبب النزول وهو حصول حادثة قضى فيها الرسول ﷺ برأيه تشير الآية لوجود صيانة ورعاية خاصّة له ﷺ في قضاءه مع الناس تصونه عن الخطأ، وهذه الصيانة ليست مقتصرة على هذه الحادثة بل هي مستمرة، وإضافة إلى هذا الفضل أعطاه الوحي والحكمة أيضاً وهما المصدر لعلوم الرسالة، والشاهد أن الآية تضيف إلى ذلك: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ ومقتضى العطف مغايرة المعطوف (وعلمك) للمعطوف عليه (وأنزل) فيدل هذا المقطع على حصول النبي على علم آخر غير علم الكتاب والوحي، وهو العلم بالموضوعات الخارجية. والمقطع الأخير فيه تأكيد على السعة والشمول في العطاء الذي لا يقتصر على حادثة معيّنة ﴿وَكَانَ فَضْلُ الله عَلَيْكَ عَظِيماً﴾.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[١٧]، وأيضاً: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً﴾[١٨]، وغيرها تشير إلى

وجود شهداء يشهدون على أممهم، و على رأسهم الرسول صلى الله عليه وآله. ومن الواضح أن هذه الشهادة في الدنيا و ليست في الآخرة: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[1].

وأن هذه الشهادة تشمل حقائق الأعمال وحتّى النيّات كما تشير إلى هذا المعنى المرويات. فعليه فهي تتوفّر على ميزتين ضروريتين:

الأولى: أنها لا تكون بالحواس الخمس، فالحواس قاصرة عن ذلك وبالتالي فهي قوّة مؤيدة من قبل الله سبحانه.

الثانية: لا يتصّور الخطأ والنسيان والاشتباه في الشاهد، فيشهد بخلاف الواقع، وبهذا البيان لا يصدق السهو والنسيان على الأنبياء وسائر الشهداء.

٤ ـ وجود كّم من الروايات يفهم منها صراحةً مفاد ذلك، مثل:

أ ـ ما ينقله الكافي عن أبي محمد القاسم بن العلاء، رفعه عن عبد العزيز بن مسلم عن الإمام الرضا عليه السلام في وصف الإمام عليه السلام: «... هو معصوم مؤيد موفق مسدد قد أمن الخطايا والزلل والعثار يخصّه الله بذلك ليكون حجتّه على عباده وشاهده على خلقه»[20].

ب . وسيأتي في تفسير النعماني في كتاب القرآن بإسناده عن إسماعيل بن جابر، عن الصادق عليه السلام عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه أن قال في بيان صفات الإمام: «فمنها أن يعلم الإمام المتولي عليه أنه معصوم عن الذنوب كلها صغيرها وكبيرها لا يزل في الفتيا ولا يخطئ في الجواب ولا يسهو ولا ينسى ولا يلهو بشيء من أمر الدنيا». وسامه الحديث إلى أن قال عليه السلام: «عدلوا عن أخذ الأحكام عن أهلها ممّن فرض الله طاعتهم ممّن لا يزل و لا يخطئ ولا ينسى»[21].

٥ ـ حديث الثقلين الصادر عن الرسول صلى الله عليه وآله: «إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا

كيف تخلفوني فيهما» وسنده لا غبار عليه، وتقريب دلالته كالآتي:

من الثابت ضرورة هو عصمة القرآن عن الاشتباه والخطأ والنسيان وما إلى ذلك، فلا يقبل فيه الباطل إطلاقاً، ولو رجعنا للحديث لرأيناه يشير إلى حالة من الاقتران وعدم الافتراق بين القرآن وأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، و(لن) تفيد التأبيد، وهذا يعني عدم إمكان الغفلة والسهو على المعصومين وإلاّ لحصل لهم الافتراق مع القرآن ولو في جزئيّة صغيرة، والحديث يثبت عدم الافتراق، فيحصل المطلوب. نعم قد يُشكل: أن الحديث خاص بالأئمة عليهم السلام والكلام هو في عصمة الأنبياء. الجواب: حقيقة العصمة واحدة لدى سائر المعصومين عليهم السلام وإن اختلفت مراتبهم و تسميتهم.

٦ ـ المستفاد من الآيات ـ كالآية ٣٣ من سورة يوسف عليه السلام ـ أن منشأ العصمة عند الأنبياء عليهم السلام هو العلم، وهذا العلم ليس من قبيل العلوم الحصوليّة، كما يشير إلى ذلك العلامة الطباطبائي (قده): ((﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾: آتاك نوعاً من العلم لو لم يؤتك إياه من لدنه لم يكفك في إيتائه الأسباب العاديّة التي تعلم الإنسان ما يكتسبه من العلوم))[٢٢]. ويعني أنه من العلوم الحضوريّة، وثبت في مكانه أن العلم الحضوري غير قابل للخطأ، وأثره حتمي، فهو عين الحقيقة، ولا توجد فيه الواسطة ليتوهّم أو يحتمل اشتباهها وسهوها[٢٣].

٧ ـ وهو تعقيب على النقطة السابقة، وتكملة لها من جهة بيان هذا العلم الخاص الموجب للعصمة؛ يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا﴾[٢٣] وهذه الروح تسمى روح القدس، وهي: «صحيح إبراهيم بن عمر، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن العلم الذي تعلمونه، أهو شيء تعلمونه من أفواه الرجال بعضكم من بعض، أو شيء مكتوب عندكم من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: الأمر أعظم

من ذلك، أما سمعت قول الله عز وجل في كتابه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ...﴾؟ قال: قلت بلى. قال: فلّما أعطاه الله تلك الروح علم بها وكذلك هي إذا انتهت إلى عبد علم بها العلم والفهم»[٢٥]. ويقصد من العبد نفسه أو الإمام بشكلٍ عام. وجاء حولها أيضا ويصلح كشاهدٍ على المطلب:

«حديث المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخى عليه ستره؟ فقال: يا مفضل إن الله تبارك وتعالى جعل في النبي صلى الله عليه وآله خمسة أرواح: روح الحياة فبه دب و درج، وروح القوة فبه نهض و جاهد، وروح الشهوة فبه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فبه آمن و عدل، وروح القدس فبه حمل النبوة. فإذا قبض النبي صلى الله عليه وآله انتقل روح القدس فصار إلى الإمام وروح القدس لا ينام، ولا يغفل، ولا يلهو، ولا يزهو، والأربعة الأرواح تنام، وتغفل، وتزهو، وتلهو، وروح القدس كان يرى به»[٢٦].

فإذا كان روح القدس لا يغفل فلا يتصور السهو على النبي إطلاقاً ويمكن استفادة هذا المعنى أيضاً من ذيل الرواية: «وروح القدس كان يرى به» وجليٌّ أن المقصود منها الرؤية الباطنية لا الرؤية بالعين ومثلما عبّر عنها في النقطة الماضية أنها عين الحقيقة من ضرب العلم الحضوري الذي لا يتخلف.

الخاتمة:

يخلص ممّا تقدم في السهو عن النبي بصورة مطلقة في سائر المراتب والمجالات وهو الأقرب للانسجام مع روح الإسلام، إذ الدين وأصوله وفروعه مثل المنظومة، يشدّ بعضها بعضاً بتناغم وانسياب وبلا شك أن نفي السهو عن الأنبياء عليهم السلام أكثر تلاؤماً مع هذه المنظومة من القول به وإثباته.

وهذا الاختيار لا يعني التنقيص لمن قاده دليله إلى القول بالسهو

أو الإسهاء، فطبيعة هذا الموضوع أنه واقعٌ تحت محذورين، وهما إمّا الزيادة وإما النقصان في حق النبي، ولا يتصور أن أحداً يؤيّد الوقوع في أحدهما، فتبقى الأدلة العلميّة هي الحاكمة والفاصلة، والله العالم.

والحمد لله رب العالمين

❖❖❖

الهوامش:

١ ـ بحار الأنوار ٥: ٦٥.

٢ ـ الجن: ٢٦ـ٢٧.

٣ ـ الأعلي: ٦ـ٧.

٤ ـ الميزان ٢٠: ٢٩٩.

٥ ـ هود: ١٠٨.

٦ ـ الأنعام: ٦٨.

٧ ـ النساء: ١٤٠.

٨ ـ الميزان ٧: ١٤٤.

٩ ـ الإلهيات: ٣: ٢٠٠.

١٠ ـ الكهف: ٧٣.

١١ ـ عصمة الأنبياء بحوث وتساؤلات: ٥٦٤.

١٢ ـ ن.م: ٥٧٢

١٣ـ ن.م: ٥٦٩.

١٤ـ ن.م: ٥٧٦

١٥ـ كشف المراد: ١٥٥.

١٦ـ النساء: ١١٣.

١٧ـ البقرة: ١٤٣.

١٨ـ النساء: ٤١.

١٩ـ المائدة: ١١٧.

٢٠ـ الكافي ١: ٢٥٥.

٢١ـ بحار الأنوار ١١: ٢٢٠.

٢٢ـ الميزان ٥: ٧٩.

٢٣ـ المنهج الجديد في تعليم الفسلفة: ١٧٢.

٢٤ـ الشورى: ٥٢.

٢٥ـ بحار الأنوار: ١١: ٤٤.

٢٦ـ الكافي ١: ٣٢٨.

وقفات عقائدية
في أدعية أهل البيت (ع)

جعفر عبد المهدي الشهابي

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1].

إن المتتبّع لمنهج أهل البيت عليهم السلام في الدّعاء يرى بوضوح ما للدعاء من اثر كبير في صقل ورسم الشخصية الإسلامية واستكشاف أغوارها وذلك على جميع الأصعدة. فلم يكن الدّعاء عند أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام مجرد تبتلات تدعو إلى الخنوع والاستسلام لأي واقع ولو على حساب قيمة الإنسان ومبادئه، بل كانت ادعيتهم «صلوات الله عليهم» تحمل الخضوع والتسليم للمعبود بأعلى درجاته، وفي نفس الوقت كانت تحمل الشعور بعزّة الارتباط بالله في قبال ما هو دون الله هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانت ـ ادعيتهم ـ تصنع الإنسان الذي يشعر بمعيّة الله دائماً، الإنسان الذي يشعر بوجود الله وأنه اقرب إليه من حبل الوريد.

وفي هذه الأسطر محاولة للوقوف على بعض أدعيتهم عليهم السلام والتي تمثّل مشعلاً يضيء لنا الطريق في شتى مجالات الحياة، محاولة لتبيين أن الدّعاء من قبل أهل البيت عليهم السلام معالجة صريحة لكثير من القضايا وعلى شتّى الأصعدة سواءً العقائدية أو الأخلاقية أو غيرها الأمر الذي نحتاج إليه في مسيرتنا في هذه الحياة التي تآمرت فيها القوى الشيطانية لاختلاس روح الإنسان المسلم وعقله، وبأرقى

التقنيّات الجذّابة، وهذه السطور وقفات مع الدّعاء لارتشاف معين ولو بسيط من أنفاس أئمتنا الأطهار عليهم السلام مما ذكروه في ادعيتهم مما يمثّل منهجا يجيب على احتياجات أنفسنا ويصمد أمام تحديات هذا الزمن الذي التصق بالماديات وجعل غشاوةً على القيم والمبادئ، وسوف يكون السعي للوقوف على احد هذه الحقول واستكشاف بعض ملامح هذا الحقل ألا وهو: الحقل العقائدي، آمل أن أوفق في الوقوف على بعض الحقول الأخرى مستقبلاً. فالكلام فعلاً سوف يكون في الحقل العقائدي.

الحقل العقائدي:

ويعدّ هذا الحقل من أهم الحقول التي لابدّ أن يعتنى بها، ذلك لأنه يمثل الأساس والأصل الذي تبتني عليه الفروع. وسوف يتبين من خلال هذه الأسطر إن شاء الله كيف أن مسألة الدعاء لها دورٌ فاعل في تثبيت العقيدة بل صناعة العقيدة السليمة. ومن المسائل التي سوف يتم التطرق اليها هي المسائل الأم وهي: توحيد الله ومعرفته، العدل، النبوة والإمامة، المعاد.

أولاً: التوحيد ومعرفة الله:

لقد تخبّط الكثير من ذوى المعتقدات والمذاهب في هذه المسالة فكلٌّ فهم التوحيد بمعنى معيّن، وأدّى الفهم الخاطئ لمسألة التوحيد في كثير من الأحيان إلى إثبات النقص لله تبارك و تعالى من خلال الصاق صفات النقص به تارة، وتشبيهه بكيفيات يجلّ عنها تارة أخرى وهكذا، ولكن في المقابل يقف مذهب أهل البيت عليهم السلام من خلال جانب الدّعاء وقفةً تزيل الغشاوة عن الحقيقة وتبين التوحيد بأعلى معانيه وأصدقها فتنفي عن الله كل نقص وتثبت له كل كمال، وتطرح أرقى معاني المعرفة والتصديق بالله، هذه الوقفة مع الدّعاء تناغم الفطرة فتحييها وتخاطب العقل فيذعن لها وتنادي الضمير فيتجاوب معها.

فها هو أبو عبد الله الحسين عليه السلام في دعاءه في يوم عرفة يُبيّن هذه الحقيقة بما تحمل من أعمق المعاني وأجلّها، يناجي ربّه يوم التاسع من ذي الحجة في عرفه مناجاة العارف الحقيقي بمعبوده الأقدس قائلاً «كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلُّ عليك، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك»[٢].

وفي موضع آخر من نفس الدعاء (يا الله يا الله يا بديء يا بديع لا ندّ لك، يا دائماً لا نفاد لك يا حياً حين لا حي).

ومن دعاء لزين العابدين عليه السلام: «الحمد لله الذي لم يشهد أحدا حين فطر السموات والأرض، ولا اتخذ معينا حين برأ النسمات، لم يشارك في الإلهية ولم يظاهر في الوحدانية كلّت الألسن عن غاية صفته وانحسرت العقول عن كنه معرفته.[٣]

وفي دعاءٍ آخر مروي عن السجاد عليه السلام من بعض ما جاء فيه: «يا من هو احد بل ضد، يا من هو فرد بلاند يا من هو صمد بلا عيب يا من هو عزيزٌ بلا ذل، يا من هو غنيّ بلا فقر، يا من هو ملكٌ بلا عزل، يا من هو موصوفٌ بلا شبيه»[٤].

وفي دعاء لأمير المؤمنين عليه السلام:

«يا من دلّ على ذاته بذاته، وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته، وجلّ عن ملائمة كيفياته، يا من قرب من خطرات الظنون وبعد عن لحظات العيون وعلم بما كان قبل أن يكون»[٥].

وفي دعاء آخر للأمير عليه السلام جاء فيه:

«يا من لا تحويه الفكر ولا يدركه بصر ولا يخفى عليه أثر»[٦].

ومن دعاء للسجاد عليه السلام أيضاً في هذا الجانب:

«الحمد لله الأول بلا أول كان قبله والآخر بلا آخر يكون بعده الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين وعجرت عن نعته أو هام الواصفين»[٧].

ودعاء آخر لسيد الساجدين عليه السلام أيضاً:

«أنت المسبّح في كل مكان، والمعبود في كل زمان، والموجود في كل أوان والمدعو بكل لسان»[٨].

وفي دعاء عظيم الشأن مروي عن الإمام الحجة عليه السلام مما جاء فيه: «يا باطناً في ظهوره، وظاهراً في بطونه ومكنونه، يا مفرّقاً بين النور والدّيجور، يا موصوفاً بغير كنه ومعروفاً بغير شبه حادّ كل محدود وشاهد كلّ مشهود، وموجد كلّ موجود، ومحصي كلّ معدود وفاقد كلّ مفقود، ليس دونك من معبود أهل الكبرياء والجود، يا من لا يكيّف بكيف، ولا يؤيّن بأين يا محتجباً عن كلّ عين يا ديموم يا قيوم وعالم كلّ معلوم»[٩].

وغيرها من الأدعية التي وردت عنهم عليهم السلام أغض الطرف عنها خوف الإطالة. هذا من جهة توحيد الله ومعرفته.

الجانب الثاني من حقل العقائد:

عدل الله سبحانه وتعالى:

وهنا نرى أن أدعية أهل البيت عليهم السلام توضّح عدل الباري بمستوى يفوق فهم البشر، نرى ذلك التعبير العميق الذي يقضي إلى اطمئنان النفس بأن لا وجود لتصوّر الظلم في ميزان الله سبحانه، بل يشيرون في كثير من ادعيتهم إلى أنه إن كان هناك خوفٌ من الله فهو خوف من عدله سبحانه و تعالى.

فها هو إمامنا السجاد عليه السلام يرينا كيفية التعامل من قبل الله تجاه هذا الإنسان الذي طالما تباعد عن ربه وتمادى على خالقه، وإن كان الإمام عليه السلام في أرفع مراتب القرب من الله. فها هو يخاطب المولى جل وعلا: «إلهي إن عفوت فمن أولى منك في العفو، وإن عذّبت فمن أعدل

منك في الحكم»[١٠].

ومن دعاء له أيضاً في يوم الأضحى والجمعة يخاطب الله فيه بقوله: «وقد علمت أنه ليس في حكمك ظلم ولا في نقمتك عجلة وإنما يعجل من يخاف الفوت وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف وقد تعاليت يا إلهي عن ذلك علواً كبيرا»[١١].

ومن دعاء للسجاد عليه السلام أيضاً «يا من لا يرجى إلاّ فضله، يا من لا يسأل إلاّ عفوه يا من لا ينظر إلاّ برّه يا من لا يخاف إلاّ عدله[١٢].

ومن دعاءٍ لزين العابدين عليه السلام أيضاً:

«فسبحانك ما أبين كرمك في معامة من أطاعك أو عصاك، تشكر للمطيع ما انت توليته له، وتملي للعاصي فيما تملك معاجلته فيه، أعطيت كلاً منهما ما لم يجب له، وتفضّلت على كلّ منهما بما يقصر عمله عنه ولو كافأت المطيع على ما أنت توليته لا وشك أن يفقد ثوابك... هذا يا إلهي حال من أطاعك وسبيل من تعبد لك فأما العاصي أمرك والمواقع نهيك فلم تعاجله بنقمتك لكي يستبدل بحاله في معصيتك حال الإنابة إلى طاعتك».

وفي فقرة أخرى من نفس الدعاء: «فتباركت أن توصف إلاّ بالإحسان وكرمت أن يخاف منك إلاّ العدل، لا يخشى جورك على من عصاك، ولا يخاف إغفالك ثواب من أرضاك»[١٣].

الثالث والرابع: مسألة النبوّة والإمامة:

وهذا جانب آخر من جوانب العقيدة اهتمت به أدعية أهل البيت عليهم السلام وهو تثبيت مسالة النبوّة والإمامة. فالمتتبع لادعيتهم عليهم السلام يرى الاهتمام البالغ في هذا المجال مما يدلل على أن أئمتنا عليهم السلام كانوا يريدون أن يبقى الارتباط بالنبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام ماثلاً باستمرار في كل تحركاتنا ليكون التحرّك تحركاً مبتنياً على أسس صحيحة متينة بعيداً عن هوى النفس وما تملى، وبعيداً عن ضلال المتشبثين

بمبتكرات فكر الأرض، فإن نفس الارتباط بخط محمد وأهل بيته الطاهرين يعطي ضماناً في الثبات على الدرب الشاق الطويل الذي لا ينحو فيه من تقدم أو تأخر عنهم بل ينجو اللازم لهم حسب، وكلماتهم وادعيتهم تشير إلى هذا المعنى بوضوح.

ومما جاء في ذكرهم عليهم السلام مروياً عن مولانا الإمام الحجة عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم «اللهم صلّ على محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين وحجة رب العالمين المنتجب في الميثاق المصطفى في الظلال المطهّر من كل آفةٍ البريءُ من كل عيب»[١٤].

وفي مقطع آخر من نفس الدعاء:

«اللهم صلّ على محمد وأهل بيته الأئمة الهادين العلماء الصادقين الأبرار المتقين دعائم دينك وأركان توحيدك وتراجمة وحيك وحججك على خلقك وخلفائك في أرضك الذين اخترتهم لنفسك واصطفيتهم على عبادك وارتضيتهم لدينك وخصصتهم بمعرفتك...».

ومما جاء في دعاء الندبة:

«إلى أن انتهيت بالأمر إلى حبيبك ونجيبك محمد صلى الله عليه وآله فكان كما انتجبته سيد من خلقته وصفوة من اصطفيته وأفضل من اجتبيته وأكرم من اعتمدته، قدّمته على أنبيائك وبعثته إلى الثقلين من عبادك...»[١٥].

ومن دعاء للسجاد عليه السلام في هذا الجانب:

«والحمد لله الذي منّ علينا بمحمد نبيّه صلى الله عليه وآله دون الأمم الماضية والقرون السّالفة... اللهم فصلّ على محمدٍ أمينك على وحيك، ونجيبك من خلقك وصفيّك من عبادك إمام الرحمة وقائد الخير».

وجاء فيه أيضاً: «وحارب في رضاك أسرته وقطع في إحياء دينك رحمه وأقصى الأدنين على جحودهم وقرّب الأقصين على استجابتهم

لك ووالى فيك الأبعدين، وعادى فيك الأقربين وأد أب نفسه في تبليغ رسالتك...»[١٦].

ومن دعاء زين العابدين عليه السلام أيضاً في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وشأنهم عليهم السلام: «اللهم يا من خصّ محمداً وآله بالكرامة وحباهم بالرّسالة وخصّصهم بالوسيلة وجعلهم ورثة الأنبياء، وختم بهم الأوصياء والأئمة وعلّمهم علم ما كان وما بقى...»[١٧].

ومما جاء في أوصاف الائمة عليهم السلام والتأكيد على التمسك بهم والامتثال إلى أوامرهم عليهم السلام.

ما جاء عنه مولانا السجاد عليه السلام:

«ربّ صلّ على أطائب أهل بيته الذين اخترتهم لأمرك وجعلتهم خزنة علمك وحفظة دينك وخلفاءك في أرضك وحججك على عبادك وطهرتهم من الرجس والدنس تطهيراً بإرادتك وجعلتهم الوسيلة إليك والمسلك إلى جنّتك...»[١٨].

وجاء في نفس الدعاء أيضاً:

«اللهم إنّك أيدت دينك في كل أوان بإمام أقمته علماً لعبادك ومناراً في بلادك بعد أن وصلت حبله بحبلك وجعلته الذريعة إلى رضوانك وافترضت طاعته وحذرت معصيته وأمرت بامتثال أمره والانتهاء عند نهيه وألا يتقدمه متقدم ولا يتأخر عنه متأخر، فهو عصمة اللائذين وكهف المؤمنين وعروة المتمسكين وبهاء العالمين...».

وجاء في دعاء الندبة أيضاً إشارة إلى الأئمة عليهم السلام وإلي قائمهم عليه السلام مع إلفاتٍ إلى مظلوميتهم:

«فعلى الأطائب من أهل بيت محمد وعلي صلى الله عليهما وآلهما فليبك الباكون وإيّاهم فليندب النادبون ولمثلهم فلتذرف الدموع... أين الحسن أين الحسين أين أبناء الحسين صالح بعد صالح وصادق بعد صادق»[١٩].

وجاء في نفس الدعاء في إشارة لقائم آل البيت محمد عليه السلام وعلاقة الارتباط به: «أين المعدّ لقطع دابر الظلمة أين المنتظر لإقامة الأمت والعوج أين المرتجى لإزالة الجور والعدوان... أين السبب المتصل بين الأرض والسماء أين صاحب يوم الفتح وناشر راية الهدى... أين ابن النبي المصطفى وابن علي المرتضي وابن خديجة الغرّاء وابن فاطمة الكبرى... يا ابن السادة المقرّبين، يا ابن النجباء الأكرمين يا ابن الهداة المهديين... بنفسي أنت من مغيّبٍ لم يخل منّا بنفسي أنت من نازحٍ ما تزح عنّا».

وفي دعاء منسوب للرضا عليه السلام يشير فيه إلى النبي الأكرم وأهل بيته وأهمية موالاتهم والالتزام بهم جاء في الدعاء:

«اللهم قلت في كتابك وقولك الحق الذي لا خلف له ولا تبديل يوم ندعو كلّ أناسٍ بإمامهم وذلك يوم النشور إذا نفخ في الصور وبعثر ما في القبور اللهم فإنّي أوفّي وأشهد وأقرّ ولا أنكر ولا أجحد، وأسرّ وأعلن وأظهر وأبطن بأنك أنت الله لا إله إلاّ أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك صلى الله عليه وآله وأنّ عليّاً أمير المؤمنين سيد الأوصياء ووارث علم الأنبياء علم الدين ومبيد المشركين ومميّز المنافقين ومجاهد المارقين وإمامي وحجّتي وعروتي وصراطي ودليلي وحجتي ومن لا أثق بأعمالي ولو زكت ولا أراها منجيةً لي ولو صلحت إلاّ بولايته والائتمام به... وأقرّ بأوصيائه من أبناءه أئمةً وحججاً وأدلّةً وسرجاً وأعلاماً ومناراً وسادةً وأبرارا...»[٢٠]

الأصل الخامس المعاد:

وجانب أخير من جوانب العقائد وهو جانب المعاد، وهو جانب يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإنسان ولا يمكن أن يتفلّت من حوزته إلا بالتفافل أو إنمساخ الروح ولكن أهل البيت ومن جانب الدعاء احيوا هذا الجانب وجعلوه رطباً مائلاً على الدوام وفي ضمير الإنسان، وادعيتهم

شاهدة على تثبيت هذا الأصل من خلال تحريك مكامن النفس وذلك بإلفاتها إلى مصيرها وما ينتظرها بعد هذه الدنيا الفانية.

فها هو زين العابدين عليه السلام في دعاءه المعروف بدعاء الحزين نراه يصف عظمة يوم المعاد وما يحتاج من الاستعداد، يخاطب الله سبحانه: «مولاي يا مولاي أي الأهوال أتذكر وأيها أنسى، ولو لم يكن إلاّ الموت لكفى كيف وما بعد الموت أعظم وأدهى»[٢١]

وجاء في نفس الدعاء أيضاً: «ارحمني يوم آتيك فرداً شاخصاً إليك بصري مقلّداً عملي قد تبرأ جميع الخلق منّي نعم وأبي وأمي ومن كان له كدّي وسعيي، فإن لم ترحمني فمن يرحمني، ومن يؤنس في القبر وحشتي».

ومن دعاءٍ للإمام السجاد عليه السلام أيضاً في ذكره للمعاد وأهميته:

اللهم صلّ على محمدٍ وآله واكفني ما يشغلني الاهتمام به واستعملني بما تسألني غداً عنه واستفرغ أيامي فيما خلقتني له[٢٢].

وفي دعاء آخر للإمام السجاد عليه السلام يبيّن فيه حقيقة المعاد التي لا تخفى على من يرى الموتى ويسمع عنهم كل لحظة وهنا السجاد يصوّر هذه الحالة ويبسط ضعفه وتقصيره أمام خالقه رغم تقواه وتنزهه عن كل ذنب بل عن كل مكروه، ينقل لنا صورةً معبرةً عن رحيل الإنسان ووقوفه بعد ذلك وحيداً في ذلك اليوم العصيب ليس له إلا عمله.

«أبكى لخروجي من قبري عرياناً ذليلاً حاملاً ثقلي على ظهري انظر مرةً عن يميني وأخرى عن شمالي إذ الخلائق في شأنٍ غير شأني لكلّ امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة وذلة».[٢٣]

وفي فقرة أخرى من نفس الدعاء: «أسألك يا رب قرة العين والاغتباط، يوم الحسرة والندامة، بيض وجهي يا رب يوم تسود الوجوه آمنّي من الفزع الأكبر».

مما تقدّم يتبيّن ولو بشكل مجمل كيف أن للدعاء معالجات في جوانب العقيدة ويستطيع من يريد الاستزاده تتبع أدعية أهل البيت وسيجد بحراً لا ينضب ليس على مستوى العقيدة فحسب بل في مختلف الحقول سواءً الأخلاقية أو الاجتماعية أو غيرها. آمل أن أوفق في مراتٍ أخرى في البحث ولو جزئياً في جانب آخر من الجوانب التي اهتمت بها أدعية أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين).

❖❖❖

الهوامش:

١ ـ غافر:٦٠.

٢ ـ مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي، دعاء عرفه للإمام الحسين عليه السلام.

٣ ـ الصحيفة السجادية، دعاء للإمام السجاد عليه السلام في يوم الاثنين.

٤ ـ مفاتيح الجنان، دعاء الجوشن الكبير.

٥ ـ مفاتيح الجنان، دعاء الصباح.

٦ ـ مفاتيح الجنان، دعاء المشلول.

٧ ـ الصحيفة السجادية، الدعاء الأول.

٨ ـ الصحيفة السجادية، مناجاة الشاكرين.

٩ . مفاتيح الجنان، الطبعة الخامسة، ذو القعدة ١٤١٢هـ. مطبعة النهضت الناشر مكتبة الفيروزآبادي.

١٠ ـ مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي.

١١ ـ الصحيفة السجادية، وكان من دعاءه في يوم الأضحى والجمعة.

١٢ ـ مفاتيح الجنان، دعاء الجوشن الكبير: فقرة ٢٠.

١٣ـ الصحيفة السجادية، بعنوان: وكان دمن دعائه عليه السلام في الاعتراف بالتقصير عن تأدية الشكر.

١٤. مفاتيح الجنان، في أعمال نهار الجمعة، الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ، مطبعة النهضت، مكتبة الفيروزآبادي ص ٥١.

١٥ـ مفاتيح الجنان، دعاء الندبة.

١٦ـ الصحيفة السجادية، في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله الدعاء الثاني.

١٧ـ الصحيفة السجادية، في ذكر آل محمد صلى الله عليه وآله.

١٨ـ الصحيفة السجادية، دعاء السجاد عليه السلام في يوم عرفه.

١٩ـ مفاتيح الجنان، دعاء الحزين.

٢٠ـ المنتخب الحسني، ص: ٣٨٠، دعاء الإمام الرضا عليه السلام عند الشدائد.

٢١ـ المنتخب الحسني، دعاء الحزين.

٢٢ـ الصحيفة السجادية، دعاء مكارم الأخلاق.

٢٣ـ مفاتيح الجنان، من دعاء أبي حمزة الثمالي.

لم يكن الدعاء
عند أهل بيت العصمة والطهارة
(عليهم السلام)
مجرد تبتلات تدعوا إلى الخنوع
والاستسلام لأي واقع
ولو على حساب قيمة الإنسان
ومبادءه

تجليات الله
في حياة الفرد والمجتمع

صادق سليمان الستري
almustagfer@hotmail.com

نحن الآن لسنا بحاجة إلى أدلة إثبات وجود الله بقدر ما نحن بحاجة إلى صياغة جديدة تؤصل العلاقة مع الله وتؤدي إلى تفعيل العقيدة واستجلاء كوامن الفطرة الإنسانية في حركة الإنسان، أي أن السؤال يتلخص في أنه ماذا يمثل وجود الله من معنى في نفسي وماذا يمكن لهذا الإيمان أن ينفعني في هذه الحياة؟ وما هي العلاقة التي تربطني به غير كونه خالقا لي؟

إن من الملاحظ أن نوعية الأسئلة المطروحة فيما يتعلق بعلاقة الإنسان بالله تعالى على مستوى علم الكلام والفلسفة، أسئلة لا نجد لها صدى في وعي الإنسان المعاصر، ولا تمتد إلى الواقع العملي للفرد والسؤال المطروح في تراثنا الفلسفي أو الكلامي هو: من هو ربك؟ وهل لهذا الكون من خالق؟ و ما هي صفاته؟ واليوم لا احد يسأل مثل هذه الأسئلة التي تجول في مدارات العقل فقط ولا تتجسد في الواقع فمعظم أفراد البشر تقريبا يؤمنون بوجود الله سبحانه وتعالى بل جميع أبناء البشر يؤمنون بالله سبحانه وتعالى كما سيتضح إن شاء الله في السطور القادمة.

ولكن إذا لم تتضح نوعية الرابطة التي تربط الإنسان بهذا الإله ولم

يعرف الفرد موقعه ومكانته ونسبته من خالقه فما فائدة ركام الأدلة والبراهين العقلية على وجود الله سبحانه وتعالى إذا لم يعرف الفرد ما مدى أهمية وجود الباري تعالى في حياته وفي حياة المجتمع الذي يعيش فيه، وإذا كان يعتقد بأن أهمية الإيمان بالله سبحانه وتعالى تتمثل في النجاة من النار فقط، فما قيمة وجود الله عز وجل بالنسبة للفرد في هذه الحياة؟.ألا تحد هذه الفكرة من قيمة وجود الله سبحانه وتعالى ودور الإيمان به في تكامل الفرد والمجتمع؟، ولسان حال هذه الفكرة يقول: (لو لم يتوعد الله سبحانه وتعالى منكريه وجاحديه بالنار لما كان هناك فائدة وقيمة للإيمان بوجوده عز وجل) .

يجب على كل فرد مؤمن أن لا ينتابه شك بأن للإيمان بالله سبحانه وتعالى اثر كبير على حياة الفرد والمجتمع، بل الإيمان بالله سبحانه وتعالى وحده الحل لجميع مشاكل البشرية.

الإيمان بالله والفطرة:

يقول عز من قائل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾.

الفطرة في اللغة تعني الخلقة (بكسر الخاء)، والخلقة تعني الخلق على كيفية وحال ما، والمقصود بها هنا هي الحالة والكيفية التي خلق الله سبحانه وتعالى الناس وهم متصفون بها والتي تعد من لوازم وجودهم، ولابد أن نعرف بان أحكام الفطرة لا يمكن أن يختلف عليها اثنان من ناحية أنها من لوازم وجودهم، فالجميع من الجاهل والعالم والمدني والبدوي والديني واللاديني مجمعون على ذلك، وليس ثمة منفذ للعادات والمذاهب والطرق المختلفة للتسلل إليها والإخلال بها. إن اختلاف البلاد والأهواء والمأنوسات والآراء والعادات لا توجب

وتسبب الخلاف والاختلاف.

الدين هو فطرة الله، فالدين ليس مجرد تشريع ومجرد قرار من أعلى وإنما الدين فطرة للناس ليس كما يدعي البعض بان الدين مجرد أمر اعتباري لو لم يأمرنا الله به لما كان له قيمة في حياتنا، الدين ليس مقولة حضارية مكتسبة على مر التاريخ يمكن إعطاؤها ويمكن الاستغناء عنها. لا، أبداً، لأنها في هذه الحالة لا تكون فطرة الله التي فطر الناس عليها ولا تكون خلق الله الذي لا تبديل له، فالإيمان سنة كونية سنة تاريخية ولكنها ليست صارمة على مستوى قانون الغليان سنة تقبل التحدي على الشوط القصير، بمعنى أن من الممكن للإنسان أن يخالف وجدانه ويعارض فطرته بالتنكر للدين وللإيمان بالله عز وجل لكن هذا التحدي لا يمكن أن يستمر وسرعان ما يزول. ومما يثير الدهشة والعجب انه على الرغم من عدم وجود أي خلاف بشأن الأمور الفطرية، فان الناس يكادون أن يكونوا غافلين عن انهم متفقون ويظنون أنهم يختلفون وهذا ما تشير إليه الجملة الأخيرة من الآية الشريفة: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾.

وهكذا يتضح بعد التنبيه على المقدمة هي: أن من الأمور الفطرية التي جبلت عليها سلسلة بني البشر بأكملها بحيث انك لا تجد فردا واحدا يخالفها وأنها فطرة حب الكمال فأنت إن استقرأت البشرية على طول امتدادها في التاريخ واستنطقت كل فرد من الأفراد وكل شعب من الشعوب وكل ثقافة من الثقافات وكل ملة من الملل، تجد هذا العشق والحب قد جبل في طينة كل هؤلاء وتجد قلب كل فرد من هؤلاء متوجها نحو الكمال، بل إن ما يحدد الإنسان ويدفعه في سكناته وتحركاته وكل العناء والجهود المضنية التي يبذلها كل فرد في مجال عمله وتخصصه إنما هو نابع من حب الكمال وعلى الرغم من وجود منتهى الخلاف بين الناس في ما يرونه من الكمال وأين يوجد الحبيب

ويشاهد المعشوق. ومنشأ هذا الاختلاف هو النظام الثقافي والتربوي والخبرات العقلية والنفسية لدى الفرد مضافا إلى الأهداف والتطلعات التي تصوغ وجدانه و طريقة تفكيره.

فالكل متفق على حب الكمال والكل يسعى نحو الكمال لكن الخلاف والاختلاف في المصداق. إن البعض يرى الكمال في الثروة والبعض يرى الكمال في السلطان وهناك من يرى الكمال في جمال القدود فكل يرى الكمال بحسبه. إذن نور الفطرة قد هدانا إلى أن نعرف أن قلوب جميع أبناء البشر تتوجه بالفطرة نحو الكمال الذي لا نقص فيه فيعشقون الكمال الذي لا عيب فيه ولا كمال بعده، والعلم الذي لا جهل فيه والقدرة التي لا تعجز عن شي والحياة التي لا موت فيها. إن الكمال المطلق هو معشوق الجميع فهل هناك من جميع الموجودات كمال وجمال مطلق سوى الله تقدست أسماؤه؟! فسبحانه غاية سؤل السائلين وأقصى طلبة الطالبين كما ورد في الدعاء، وحقيقة وجود هذه الفطرة من الأمور التي أكدتها بحوث علم النفس الحديث من أن هناك أمور فطرية تدفع الإنسان وتحرك سلوكه وهي ما تسمى عندهم بالدوافع.

الإيمان بالله منطلق لبناء الإنسان والمجتمع:

إن حركة الإنسان تتميز عن غيرها من الحركات الكونية بأنها حركة تتسم ـ بصورة واضحة . بأنها غائية لا سببية فحسب فهي ليست مشدودة إلى سببها المؤثر في وجودها والى ماضيها، بل هي مشدودة ـ أيضا ـ إلى الغاية فيها، لأنها حركة هادفة لها علة غائية متطلعة إلى المستقبل. فالغاية والهدف هي المحرك إلى أي نشاط من النشاطات الإنسانية. وإذا اتضح ذلك نقول: إن المحتوى الذي يمثل البناء الداخلي للإنسان هو المثل الأعلى والغاية العليا. والمثل الأعلى وهو الذي يحدد الغايات التفصيلية وينبثق عن هذه الأهداف الجزئية، فالغايات بأنفسها محركات للتاريخ وللنشاط الإنساني وهي بدورها

نتاج لقاعدة أعمق منها في المحتوى الداخلي للإنسان وهو المثل الأعلى الذي تتمحور فيه كل الغايات وتعود إليه كل تكل الأهداف، فبقدر ما يكون المثل الأعلى والهدف الأسمى للجماعة البشرية صالحا وعاليا وممتدا تكون الغايات صالحة وممتدة، وإذا علمنا أن الله هو الكمال المطلق وان الفطرة تدعو إلى النزوع تجاه الكمال المطلق فلا يستحق أي شي غير الله سبحانه وتعالى أن يكون مثل أعلى وغاية عليا: ﴿الَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[1]

فالإيمان بالله كمبدأ أعلى وهدف أسمى له آثار على مسيرة الفرد بشكل خاص وعلى مسيرة البشرية بشكل عام ومن هذه الآثار:

١ـ إن المطلق الذي يقدمه الإيمان بالله للإنسان لم يكن من نسيج مرحلة من مراحل الذهن الإنساني، ليصبح في مرحلة رشد ذهني جديد قيداً على الذهن الذي صنعه. ولم يكن وليد حاجة محدودة لفرد أو لفئة، ليتحول بانتصابه مطلقاً إلى سلاح بيد الفرد أو الفئة لضمان استمرار مصالحها غير المشروعة.إن المشكلة تنشأ من تحويل المحدود والنسبي إلى مطلق خلال عملية تصعيد ذهني، وتجريد للنسبي من ظروفه وحدوده، والله سبحانه وتعالى مطلق لا حدود له، ويستوعب بصفاته الثبوتية كل المثل العليا، للإنسان الخليفة على الأرض، من إدراك، وعلم، وقدرة وقوة، وعدل، وغنى. وهذا يعني إن الطريق إليه لا حدّ له. فالسير نحوه يفرض التحرك باستمرار، وتدرج النسبي نحو المطلق بدون توقف: ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾[2]، ويعطي لهذا التحرك مثله العليا المنتزعة من الإدراك والعلم والقدرة والعدل، وغيرها من صفات ذلك المطلق، الذي

تكدح المسيرة نحوه، فالسير نحو مطلق، كله علم، وكله قدرة، وكله عدل وكله غنى يعني أن تكون المسيرة الإنسانية كفاحاً متواصلاً باستمرار ضد كل جهل، وعجز، وظلم، وفقر. إن الطريق إلى الله سبحانه وتعالى غير منقطع وغير منتهى، فالسير إلى الله عز و جل غير محدود لا ينتهي بأجل، إبداع دائم، نمو دائم، إنتاج دائم، فمسيرة العطاء لا تتوقف ولا تنتهي لأننا في سير تجاه المطلق، تجاه الكمال، وهذه هي العبادة التي قال الله سبحانه وتعالى بأنها غاية الخليقة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣]

٢ـ إن الإنسان من خلال إيمانه بالله سبحانه وتعالى كمثل أعلى وهدف أسمى ووعيه على طريقه بحدوده الكونية الواقعية ينشأ لديه شعور معمق بالمسؤولية تجاه هذا المثل الأعلى وهو الحل الوحيد لجدل الإنسان، والتناقض الداخلي لدى الإنسان، يقول علماء النفس بان الاتجاهات المختلفة لسلوك الإنسان من أنماط سلوكية وعادات ورغبات، كرغبته أن يصبح طبيبا أو محاميا أو تاجرا أو لصاً، تصدر عن دافع مركزي تتفرع عنه دوافع أخرى ومحركات أخرى، فنحن نقول كلما كان الدافع المركزي والهدف الأعلى ساميا عاليا كانت حركة الإنسان وسلوكياته حتى أدق التفاصيل عالية سامية منضبطة

الإيمان بالله منطلق لبناء المعرفة:

يمثل التوحيد حجر الزاوية في تكوين وبناء الرؤية الكلية عن الكون والحياة والإنسان والمجتمع والتوحيد، يوضح حدود وأبعاد الدور الإنساني، والإنسان الذي لا يؤمن بوجود الله سبحانه وتعالى ولم يكن الله سبحانه وتعالى المبدأ والمنطلق الذي انطلق منه لفهم ما عداه لن تكون لديه رؤية واضحة عن الكون والإنسان والمجتمع وهذه الرؤية هي التي تصوغ فهم الإنسان وطبيعة إدراكه للأمور، فكل رؤية كونية ينبثق عنها نظام أخلاقي ومنظومة حقوقية وينبثق عن هذا نظام

اجتماعي وتربوي ونفسي، وبدورها هذه العوامل والأنظمة تصوغ إدراك الإنسان ووجدانه ومن ثم تشكل شخصيته. فالإنسان الذي لا يؤمن بالله سبحانه وتعالى ليس لديه مشكلة مثلا في القول بأن البشر يتفاوتون في الإنسانية فهناك طبقة نبلاء وهناك طبقة أراذل كما آمن به بعض فلاسفة الغرب ومن قبلهم فلاسفة الرومان والإغريق[٤] ولا يوجد من الناحية النظرية مشكلة في هذه النظرة، إذ يرى الإنسان في نفسه انه أفضل من بعض فئات بني البشر فلابد أن يكون أرقى منهم في الإنسانية ولابد أن يكونوا مسخرين له ولرغباته، أما الإنسان الذي يؤمن بالله وأسمائه الحسنى من علم وقدرة وحكمة وعدل ورحمة و إحسان وانه خالق كل شي ويؤمن بان صفات الله عز وجل الذاتية عين ذاته وليست بزائدة عنها، لا يمكن له إلا أن يكون عادلا ورحيما وحكيما ومحسنا ولا يمكن إلا أن ينظر إلى غيره من أبناء البشر نظرة مساواة فليس له من الخلق والأمر شي، ومن هنا تتضح لنا أهمية رؤية أهل البيت عليهم السلام عن صفات الذات وأنها عين الذات وغير زائدة عنها وأن الذات المقدسة تحوي جميع الكمالات الممكنة وأنها منشأ كل كمال في مقابل من ذهب إلى أن الصفات زائدة أو أن الذات تنوب عن الصفات.

ومن جهة أخرى إن الإنسان الذي لا يؤمن بالله وبصفاته يتأثر بأهدافه وتطلعاته ورغباته، فمن يسعى لطلب الجاه والرئاسة والقيادة تتأثر طريقة إدراكه للأمور بهذه النزعة فيظلم الإنسان غيره من بني البشر ويعتقد بأنه لابد من أن يكون أعلى شأناً منهم تأثراً منه بنزعته تجاه طلب الجاه والرئاسة(سواء كان ذلك عن إدراك شعوري لسبب اعتقاده أولا). أما الإنسان الذي يؤمن بالله تقدست أسماؤه فهو في سير وكدح مستمر تجاه الكمال المطلق: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾[٥] فهو في سير تجاه العدل وتجاه الرحمة وتجاه

العلم والإحسان، وبذلك يكون هذا الإنسان بعيداً عن تأطر أفكاره برغباته الشخصية التي تبرر له التنظير إلى مفاهيم الظلم والتفاوت العنصري و ما شابه ذلك. فالتوحيد قبل ذلك وبعده يبني للإنسان المنهج العلمي والنظام المعرفي ويحدد له كل ما يتعلق بالمعرفة بدءاً بالمنهج والغاية وفلسفة المعرفة وانتهاءً بوظائف العلم والمعرفة في حياة الإنسان والمجتمع. والتوحيد يمثل المكون الأساسي للموروث المعرفي الذي يقرأ به الإنسان المؤمن الكون والإنسان والمجتمع والتاريخ. ومن ذلك نستطيع أن ندعي بان تأصيل التوحيد في المجتمع كمبدأ ومنطلق يبني عليه الإنسان النظام المعرفي وكهدف أسمى وغاية عليا يسعى إليها تجنب الإنسان الوقوع في الأخطاء المعرفية والمنهجية وتبني له نظرة معرفية دقيقة وصحيحة عن الكون والحياة والإنسان والمجتمع.

الإيمان بالله منطلق لبناء الصحة النفسية:

إن الأمراض النفسية تنشأ غالبا من عدم إشباع الإنسان إلى حاجاته وتحقيق رغباته والوصول إلى أهدافه أو لعدم التوافق (سواء كان نفسي أم اجتماعي) في إشباع حاجاته أو تحقيق رغباته أو بلوغ أهدافه. إذا اتضح ذلك نقول: إن إشباع الإنسان إلى حاجاته وتحقيق رغباته وبلوغ أهدافه يحقق للإنسان حالة من الراحة والطمأنينة والفرح، وإخفاق الإنسان في ذلك يسبب له حالة من الحزن والإحباط والكآبة، وكذلك لو استطاع الإنسان أن يشبع حاجاته لكنه لم يستطع إشباعها بطريقة متوافقة أما لتضارب حاجات الفرد نفسه أو لتضارب حاجاته مع حاجات غيره من بني جلدته، سيؤدي ذلك إلى الاضطراب النفسي وسلب الطمأنينة.

ويكاد يكون من المتفق عليه أن ليست كل رغبات الإنسان وأهدافه في متناول يده، بل لا تخلو حياة كل إنسان من كثير من الرغبات والأهداف

التي لا يستطع تحقيقها، ومعنى هذا أن يكون الإنسان في غم وكرب دائم إذا كانت هذه الرغبات هي المطلوبة بالذات وهدف الإنسان النهائي. أما إذا كانت هذه الرغبات أهداف متوسطة مطلوبة بالعرض وكان المطلوب بالذات والهدف الأسمى هو وجه الله سبحانه وتعالى ورضاه فلن يشعر الإنسان بالأسى والحزن والإحباط لأنه لا يبالي أحقق رغباته أم لا فالمهم هو رضا الله ولقائه: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَالله لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ﴿أَلاَ بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

وخير دليل على ذلك ما يعانيه الغرب من أمراض نفسية بعدما سادت قيم المادة فزادت نسبة الانتحار وكثرت نسبة المصابين بأمراض الكآبة وشيزوفرنيا (العصاب) والذهان وغيرها من الأمراض، حتى قال أحد علماء النفس الغربيين بأن ٦٠% من الأمراض الفسيولوجية في الغرب منشؤها نفسي. ولقد طغت أمراض النفس والشخصية إلى حد جعل من الولايات المتحدة الأمريكية منذ سنة١٩٤٥ أن تقلب نصف أسرة المستشفيات العامة بها لاستقبال المرضى النفسيين. و قد ورد عن أمير المؤمنين وسيد الموحدين عليه السلام من لهج قلبه بحب الدنيا التاظ قلبه منها بثلاث: هم لا يغبه، وحرص لا يتركه، وأمل لا يدركه.

❖❖❖

المراجع:

١ـ الأربعون حديث، الإمام الخميني.

٢ـ المدرسة القرآنية، السيد الشهيد الصدر.

٣ـ علم النفس ودراسة التوافق، د. كمال دسوقي.

٤ـ الله والإنسان، أحمد القبانجي.

٥ـ التوحيد والتزكية والعمران، د. طه جابر العلواني.

٦ـ المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، الشهيد سيد محمد باقر الحكيم

٧ـ علم النفس (دراسة التكيف البشري)، د. فاخر عاقل.

❖❖❖

الهوامش:

١- إبراهيم.

٢- الانشقاق: ٦.

٣- الذاريات: ٥٦.

٤- قد يقول قائل بان فلاسفة الإغريق أمثال أفلاطون وأرسطو كانوا موحدين وبرغم من ذلك كانوا يؤمنون بتفاوت البشر في الإنسانية. أقول هذا إن دل على شي إنما يدل على أن تصورات هؤلاء الفلاسفة عن التوحيد ناقصة وغير مكتملة لا انه يدل على عدم صحة هذه الفكرة.

٥- الانشقاق: ٦.

يجب على كل فرد مؤمن أن لا ينتابه شك بأن للإيمان بالله سبحانه وتعالى أثر كبير على حياة الفرد والمجتمع، بل الإيمان بالله سبحانه وتعالى وحده الحل لجميع مشاكل البشرية.

لماذا يقتل الله الأبرياء؟

علي أحمد الكربابادي
Alioalilali٢@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين...

نحاول في هذه الأسطر الإجابة على سؤال قد يتبادر إلى أذهان بعض الناس، وخصوصا حينما تكثر الحوادث الطبيعية.

يقول هذا السؤال: لماذا يسلط الله سبحانه وتعالى على المخلوقات كل هذه المصائب، أمثال الزلازل والعواصف والسيول وما شاكل ذلك؟

حينما نتذكر الزلزال الذي حصل في مدينة (بم)، وغيرها من المدن الإيرانية، أو الزلزال الذي هزّ (المحيط الهندي)، ونرى الخسائر التي تكبدتها عدة دول مثل الهند وماليزيا، أو يمكن لنا حينها أن نرضى بذهاب أرواح الأبرياء؟ ألا نتسائل: لماذا يفعل الله هذا بالناس مع أن فيهم الأطفال والأجنة والنساء وغيرهم من الأبرياء الذين لا ذنب لهم؟ ألا يعتبر هذا ظلم من الله جلّ وعلا؟

والجواب على هذا التساؤل يمكن أن يكون بعدة أنحاء نكتفي في مقامنا بذكر جوابين:

الأول:

من الواضح والبين أن كل مالك له الحق في التصرف في ما يملك فهذا الإنسان مختار في صرف ماله في الطريق الذي يشاء، والغرض الذي يحب.. بإمكانه أن يشتري بماله كتاباً، بإمكانه أن يهديه إلى صديقه، وبإمكانه أن يدخره، فهو حرّ في ماله يتصرف فيه كما يشاء.

فهل من الإنصاف والموضوعية بمكان أن نجيز لأذهاننا تصور الظلم لله جل وعلا ولا نتصورها للعبد حينما يبذر أمواله؟!

الله جل وعلا مالك حقيقي؛ أي أن له أن يفعل في أملاكه ما يشاء من غير قيد أو شرط أو نبس شفة... هو الذي خلق، وهو الذي أعطى وهو الذي تفضل، فله أن يسترد ما أعطى متى ما شاء. أما الإنسان فهو مالك، ولكن ملكه اعتباري؛ أي أنه غير حقيقي، ومعنى ذلك أن الإنسان من حقه التصرف في ماله في أمور محدودة، وفي نطاق معين، فهو إن خرج عن هذا النطاق أصبح تصرفه في أملاكه حراماً، فكيف يكون ذلك؟!

يقول الفقهاء، بل يقول القرآن بأن الإسراف حرام: ﴿وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[1] ومن المعروف أصوليا أن النهي في معناه الحقيقي يفيد الحرمة.

وكذلك فإن الإنسان حينما يتصرف في أمواله تصرفا داخلا ضمن مؤونة سنته، فإن هذا المال لا يجب فيه الخمس، ولكن حينما يفضل المال ويزيد عن مؤونة السنة فإن ما زاد على مؤونة السنة يجب تخميسه، ولهذا فإن الإنسان لو بذر ماله؛ أحرقه، ألقاه في البحر استخدم الهاتف في اتصالات لا مبرر لها عرفا، أخذ يرمي الطعام في القمامة وما شاكل من هذه الأمور فإن هذه التصرفات حينها إن لم تعد من أمور مؤونته ـ أي حاجته العرفية ـ فإنه يجب عليه حينها أن يخمس كل هذا المال لأنه مجاز في استخدامه في المؤونة، أما إن كان في غير المؤونة فإن الخمس لا يسقط منها.

فالخلاصة أن الله جلّ وعلا: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[2] ولذلك ترى القرآن الكريم يذكر في عدة مواضع مثل هذا المضمون:

١ـ يفعل ما يريد.. البقرة:٢٥٣.

٢ـ يفعل ما يشاء.. آل عمران:٤٠.

الثاني:

بعد ما ثبت لنا أن الله سبحانه وتعالى له أن يفعل ما يشاء ويقتل من يريد، وأن كل ذلك من قبيل التصرف في الممتلكات الشخصية وليس هناك الحق لأحد الاعتراض على ذلك، نقول أنه علاوة على هذا الأمر فإن إله اللطف، ورب الرحمة تبارك وتعالى، ومن منطلق رحمته، يسلط على الخلق مثل هذه الحوادث الطبيعية كالزلازل وما شاكل فكيف يكون العقاب رحمةً؟

نقول: إن الناس إما أن يكونوا مطيعين لله وإما أن يكونوا عاصين له ومخالفين لأوامره، فالله سبحانه وتعالى يختبر عباده المطيعين ويثيبهم على صبرهم على هذا الامتحان فيعوضهم يوم القيامة ما لا يمكن مقايسة الدنيا بما فيها معه، وأما الذين يتمردون على أمر الله ويعصونه فالله سبحانه وتعالى، وبسبب شمول وعموم رحمته، يسلط عليهم هذا العقاب حتى يرتدعوا ويكفوا ولا يتمادوا في معاصيهم وفي أعمالهم الشريرة، ونتيجة لذلك يكون عقابهم يوم القيامة محدوداً خلافا لمن يستكبر على الله ولا يرتدع فإن الله يمده في طغيانه حتى يتبين مدى تكبره فيكون عقابه يوم القيامة بمقداره، ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(٣)

وقد ورد في الأحاديث الشريفة بالنسبة للسقط من أمة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الذي مات ولم يرتكب جرماً، أنه يوم القيامة يكون شفيعا لوالديه فيدخلان بسببه الجنة.

ورد في الحديث: (أما علمتم أني أباهي بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط يظل محبنطئاً على باب الجنة فيقول الله عزّ وجلّ: أدخل الجنّة، فيقول: لا أدخل حتى يدخل أبواي قبلي، فيقول الله تبارك

وتعالى لملك من الملائكة: ايتني بأبويه، فيأمر بهما إلى الجنة فيقول: هذا بفضل رحمتي لك).[٤]

وفي النهاية نقول: إن الله سبحانه وتعالى باعتبار تكفله بتربية عباده فهو يعطي كلاً بحسبه، و تبعاً لمصلحته، فكما أن الأب يعاقب ولده على أعماله السيئة كأحد أساليب التربية ويشجعه في موضع آخر عند إتيانه بالأعمال الحسنة، فكذلك الله جلّ وعلا يدعو ويرغب الخلق في حسن ثوابه، ولكن إذا لم يستجب بعض الناس لذلك الترغيب فهو يؤدبهم بالمقدار الذي يصلحهم، ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٥]

❖❖❖

الهوامش:

١ـ الأعراف: ٣١.

٢ـ الأنبياء: ٢٣.

٣ـ آل عمران: ١٧٨.

٤ـ الكافي ٥: ٣٣٤، باب فضل الأبكار.

٥ـ الروم: ٤١.

الله جلّ وعلا مالك حقيقي..

أي أن له أن يفعل في أملاكه ما يشاء

من غير قيد أو شرط أو بنس شفة...

هو الذي خلق وهو الذي أعطى وهو الذي تفضل

فله أن يسترد ما أعطى منّي متى ما شاء

الإسلام.. أطروحة متكاملة لإنسان خالد

محمد صالح رضي
Ms_bahrani@hotmail.com

على مر الزمن، منذ آدم عليه السلام إلى يومنا هذا والكائن البشري يشعر بالنقص في كيانه، وبالحاجة إلى من يعينه ويمده لسدها، فمن التفكير في كيفية وسبب مجيئه إلى هذا العالم ومن يرعاه، وسؤاله عمّن أوجده وبراه، وبحثه عن الطريق الموصل له وكيف يتعامل خلال الطريق، وإلى أين مصيره، إلى التفكير فيما يسد به جوعه ويستر به عورته ويطور مدركاته ونوعية حياته ويزيد من راحته..

ومن التفكير فيما يخصه من حاجات مادية ومعنوية كفرد يعيش في ظل هذه المنظومة الكونية والبيئة المحيطة به، إلى التفكير في الجنس الذي ينتمي إليه كجماعة تتشكل من أفراد عدة، والتفكير في قوانين تحكم هذا التجمع أو ذاك، في هذه المعاملة أو تلك، لما فيه مصلحتهم واستقرار حياتهم..

فالإنسان عقل وروح وجسم ومحيط، وطريقة حياة، وعلم وعمل ومصير..

قبل أربعة عشر قرناً ظهر رجل يقول إنه أتى بحل كل تلك المسائل من عند خالق الكون والإنسان، فصدقه بعض وكفر به بعض، لكنه برهن على كلامه بأن أجاب على جميع أسئلة البشر إلى يومنا هذا بدين اسمه الإسلام..

وكما أكّد أحد أحفاده: (ما من شيء يحتاج إليه ولد آدم إلا وقد خرجت فيه السنة من الله ورسوله) [١]

وكانت الأسئلة الأساسية عند الإنسان ولا تزال:

من أين؟

في أين؟

إلى أين؟

فجاء الإسلام مكملاً وخاتماً لما قبله من الأديان السماوية مجيباً على كل جزئيات هذه الأسئلة وأجاب على الأسئلة الأخرى لبني البشر وجعل الأجوبة متفرعة عن هذه الثلاثة الأصلية، وترك في نصوصه القابلية للإجابة على كل ما سيطرأ من تساؤلات وشكوك..

ـ تنبيه: هذه مجرد إشارات وخواطر تعتمد الاختصار والكلام الوجداني حول هذا الموضوع الذي لا تسعه المجلدات فضلا عن الوريقات.

السؤال الأول: من أين؟

أجاب الإسلام مؤكداً ما تقوله فطرة الإنسان ولو لم يتبع ديناً: خلقك أيها الإنسان خالق كل هذا الكون المحيط بك ومدبره.

وزاد توضيحاً: الخالق الذي ليس له شريك في ملكه ولا عديل، الواحد الأحد الذي ليس له والد ولا ولد، ليس كمثله شيء، العالم الخبير، الرحمن الرحيم، الجبار العظيم، (هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى) [٢]

أوجدك بعد أن كنت محكوماً بالعدم ونفخ فيك من روحه وسوى جسدك من تراب، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٣]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى﴾[٤] يتزاوجان لتنشأ النطفة ثم تأتي السلسلة السابقة..

ولم يكتف بذلك فقط بل وضع القوانين ـ في دين الإسلام ـ والنظم التي تحكم هذه العلاقات وتنظمها، فجعل من حقوق الولد قبل زواج الذكر والأنثى أن يختار الرجل المرأة الصالحة وتختار المرأة الرجل الصالح، ليكون الولد صالحاً، وأن يكون طعامهما طاهراً مباحاً ليكون الولد طاهراً، وجعل له حقوقا على والديه من تنشئة وتربية وتعليم إلى ما شاء الله من حقوق وواجبات وأخلاقيات تضمن له حياة كريمة ولمجتمعه أن يكون عزيزاً..

إذاً أنا الآن موجود أوجدني الخالق.. ففي أين؟، وماذا يريد مني؟

السؤال الثاني: في أين؟

أجاب الإسلام في هذه الدنيا التي سخّر الخالق كل ما فيها لك وكرمك على سائر المخلوقات بأن جعل لك عقلاً تتعلم وتفكر به، وتختار طريقك في هذا الوجود، فإما أن تشكر خالقك أو تكفر به..

وأرسل الأنبياء والرسل وأعقبهم بالأوصياء والعلماء؛ ليوضحوا لك ملامح هذا الطريق الموجود فيه، وليعلموك كيف ولم تعمل، وليبلغوك رسالة الله لك وسبب خلقك بأنه يقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾[٥] إذاً خلق الإنسان للعبادة، (فبها يكون صلاحك وقوام أمرك) [٦] فيا أيها الإنسان (إن بعثة الأنبياء إنما تهدف إلى إنقاذ أخلاق الناس، ونفوسهم، وأرواحهم، وأجسامهم من الظلمات واستبدالها بالنور) [٧]..

والعبادة عند الإسلام لا تعني الانعزال عن الناس والعيش في أعماق الكهوف والرهبانية، بل تعني كل عمل سليم يتقرب به العبد إلى خالقه والمنعم عليه، فتضم العبادة العمل من اجل كسب لقمة العيش، كما

تضم التعلم والتعليم وسائر أمور الدنيا والآخرة: (فاعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) [٨] مطلقاً في كل أمر حسن وصالح، (فكل ما فيه الخير والصلاح يقره الإسلام، وينهى عما فيه من الضرر والفساد) [٩] ولو كان هذا الأمر قد عرف قبل الإسلام أو تعارف عليه الناس بعد مجيئه[١٠]..

نقطة مهمة: وهي أن القوانين والنظم الإسلامية عبارة عن شبكة واحدة، كل منها يقوي الآخر ويستمد قوته منه، وكل حلقة فيها تخدم الحلقات الأخرى وتقومها، فقوانين الإسلام ونظمه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية والأخلاقية والعبادية والصحية والجزائية والحقوقية... إلخ، كلها مترابطة مع بعضها البعض تشكل عجينا واحداً قد يراه كل فرد من زاوية، وقد يستخدمه كل فرد لحاجة من الحاجات الإنسانية، لكن الأساس واحد وهو توحيد الله سبحانه والهدف واحد وهو صنع الإنسان المتكامل..

فمثلاً إذا أتينا إلى الاقتصاد الإسلامي نرى ربطا عجيبا بين الاقتصاد ومصلحة الفرد ورقي المجتمع ونموه، (فالإسلام لا يقر انقسام الناس إلى فقراء وأغنياء، بل يحاول أن يرفعهم جميعاً إلى مستوى الغنى، ويسمح بعد ذلك بتفاوت درجات الغنى بين الأفراد) [١١]..

أحد الأمثلة، الربا الذي يحرمه الإسلام.. وفيه يقترض الإنسان مبلغا من احدهم فيرده إليه مع ربح للمقرض، وطبعاً لن يقترض أحد إلا لحاجته، فتراه يضاعف جهده وتعبه من اجل سداد الدين في وقته مع فوائده قبل أن تزداد نسبة الفوائد المترتبة على تأخير القرض فيصل الوضع أحياناً إلى أن يبيع أثاثه وممتلكاته من أجل ذلك، فهل من الممكن أن يكوّن مع المقرض الذي استغل ضعفه وحاجته علاقات

اجتماعية تقوم على أسس الحب والمودة والتعايش؟ بل هل يستطيع كفرد أن يعيش مطمئن البال مرتاحاً؟ كلا، ولن يستطيع المرابي الجشع ذلك أيضاً فهو يعيش حالة من التكبر والاستضعاف للمحتاج المقترض، و ينتظر رأس الشهر وهو يحسب الفلس تلو الفلس ليحصل على الربح من ذلك المسكين[١٢]..

وعلى العكس من ذلك نجد نظام القرض الحسن ـ القرض بدون فائدة ـ الذي يشرعه الإسلام، فهو لا دافع له سوى المعونة الإنسانية والتي تنطلق دائماً من منطلق إنساني، لتقوية الأواصر وحل العقد النفسية والتقريب بين القلوب، والقضاء على العداوة والبغضاء[١٣]..

المجتمع و الذي يتشكل من أفراد كاللبنات إذا صلحت صلح البناء وبالعكس، يوليه الإسلام اهتماماً عظيما في كل تشريعاته ويركز عليه تركيزاً هاماً، وفيه (المسلمون كالرجل الواحد إذا اشتكى عضو من أعضائه تداعى له سائر جسده) [١٤] وفيه مقياس الكرامة ومفتاحها التقوى فـ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ الله أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١٥] فنحن كمسلمين (ومن هذا الأصل الاعتقادي (التوحيد) نستلهم المساواة بين جميع بني البشر أمام الله.. وما يميز الفرد عن الآخر كقاعدة ومعيار إنما هي التقوى والابتعاد عن الانحراف والخطأ) [١٦]..

كل ذلك لهو من طريق الإنسان للآخرة الذي فيه: ﴿...مَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[١٧] فيأتي دور السؤال الثالث..

السؤال الثالث: إلى أين؟

أجاب الإسلام: إلى نشأة ووجود غير هذه الدنيا، (فإن الدنيا دار

مجاز والآخرة دار قرار) وفيها يحاسب الإنسان بمقدار سعيه، فقد وفّر الله له ما يستطيع به التمييز بين طريق الخير والشر: ﴿.. لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾[١٨]..

وختاماً أكرر تنبيهي على أن هذه مجرد خواطر وإشارات حول موضوع لا تسعه مجلدات فضلاً عن وريقات..

ونسال الله العلي القدير أن نكون بعملنا وعلمنا من مصاديق هذه البشرى الشريفة على لسان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ومن الممهدين لها.. (وبشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والتمكين في الأرض)[١٩]..

والحمد لله رب العالمين..

❖❖❖

الهوامش:

١ـ عن الإمام الصادق عليه السلام ميزان الحكمة، الشيخ محمدي الري شهري، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ. الرواية: ٣٣٩٢.

٢ ـ الحشر: من الآية ٢٤.

٣ ـ غافر: ٦٧، يحوي القرآن أكثر من خمسين آية تتحدث عن خلق الإنسان، راجع ميزان الحكمة ١: ٣٠٣.

٤ ـ الحجرات: من الآية ١٣.

٥ ـ الذاريات: من الآية ٥٦.

٦ ـ عن الإمام الرضا عليه السلام، راجع ميزان الحكمة، الرواية: ١١٦٠٧.

٧ ـ عن الإمام الخميني (قدس)، حديث الانطلاق: ٢٧٣.

٨ ـ عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ميزان الحكمة، الرواية: ١٢٩.

٩ ـ تجارب محمد جواد مغنية بقلمه: ٢٠٠.

١٠ـ راجع نفس المصدر: ١٩٨ ـ ٢٠٠.

١١. اقتصادنا الميسر، تلخيص اقتصادنا للشهيد الصدر، علي حسن مطر: ١٣٠.

١٢ـ راجع الخطوط الأساسية للاقتصاد الإسلامي، آية الله مكارم الشيرازي: ٢٠٩ـ ٢١٢.

١٣ـ المصدر السابق.

١٤ـ عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ميزان الحكمة: ٨٧٨٨.

١٥ـ الحجرات: ١٣.

١٦ـ عن الإمام الخميني (قدس)، حديث الانطلاق: ٢٧٢.

١٧ـ الزلزلة: ٧ ـ ٨.

١٨ـ طه: ١٥.

١٩ـ عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ميزان الحكمة: ٧٣٦.

العبادة عند الإسلام..

لا تعني الانعزال عن الناس

والعيش في أعماق الكهوف والرهبانية

بل تعني كل عمل سليم يتقرب به

العبد إلى خالقه والمنعم عليه

العلم والعمل

عادل عبد الحسين الهنان
alhammodi@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وقال تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[2]

وقال الأمام الصادق عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: (العابد على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا تزيده سرعة المشي إلا بعدا) [3]

لا نكاد نصدق بعقلانية من يشكك بل من يشك في مدخلية معرفة الإنسان في قيمة أعماله، بحيث أن عمله في قيمته يتناسب طرديا مع مقدار معرفته، فكلما زادت معرفة الإنسان زادت تبعا لها قيمة وعظمة أعماله، بل أساسا: قيمة العمل الاختياري عند الإنسان أن يكون صادرا عن وعي وعلم ومعرفة.

من هنا فان عملاً قد يصدر من شخص ونفس ذلك العمل يصدر من آخر ولا نرى في ظاهر العملين فرقا، وعليه تكون قيمتهما- في نظرنا- واحدة، ولكن الفرق يكون بيِّنا جليا إذا ما راعينا جانب صدوره عن كم وكيف في معرفة الأول لا تطالها يد الثاني.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه تارة يكون العمل صادراً من مستوى عالٍ من المعرفة يصل إلى اليقين، وأخرى لا يكون صادراً بل

يكون صاعداً إلى مستوى أعلى من المعرفة واليقين، وبيانه: تارة الإنسان نتيجة ما يمتلك من علم ومعرفة حقيقيين تصدر منه الأعمال مترجِمة ما يملكه هذا الإنسان من كمالات، فإن السلوك ـ كما يقول علماء النفس ـ هو تجسيد لمعتقد الإنسان وعلمه ومعرفته، وأخرى أن الإنسان بعمله هذا يسعى لاكتساب كمالات يفقدها، فالإنسان الفاقد لملكة الجود مثلا إذا أراد أن يكتسبها فانه ينفق المرة والمرتين والثلاث حتى يتغلب على الحاجز الموهوم في نفسه تجاه الإنفاق الذي مفاده ـ ذلك الحاجز ـ أن الإنفاق سيقودك إلى الإفلاس و... وكذا بقية الملكات والكمالات، وهذا ـ كما قلنا ـ على العكس منه في النوع الأول فإنه ينفق لأنه جواد لا لأنه يريد أن يكتسب ملكة الجود، كما هو الحال في الأمير عليه أفضل الصلاة والسلام فانه ينفق لأنه جواد، ولأنه شجاع هو يُقدِم، لا أنه بإقدامه يطلب ملكة الشجاعة. إذاً العمل قد يكون صادرا من اليقين وقد يكون صاعدا إلى اليقين.

وبملاحظة النقطتين المتقدمتين يأتي الفهم الصحيح للكلمة النبوية في الشخصية العلوية صلوات الله عليهما وآلهما حيث يقول: (برز الإيمان كلُه للشرك كلهِ) [٤]، ويقول أيضا: (ضربة علي يوم الخندق أفضل أعمال أمتي إلى يوم القيامة) [٥] فإنه بعد علمنا بان النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم أفضل الصلاة والسلام عندما يُبينون لنا حقيقة معينة فإنه لا مجال للمبالغة في حديثهم صلوات الله عليهم بل كلامهم هو عينُ الواقع الخارجي ومتنُه ـ بعد الإيمان بهذه الحقيقة نعلم مقدار ما كان يمتلك الأمير عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام من معرفة، فانه لو جمعت معارف البشرية جميعا بمن فيها من فلاسفة ومتكلمين وعرفاء و... لم تبلغ شيئا قبال معرفة الأمير صلوات الله عليه، كيف وهو القائل: (لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا) [٦]، مع أنّا إذا نظرنا إلى العمل المادي الذي تصدى له

الأمير عليه أفضل الصلاة والسلام لوجدناه لا يعدو ضربةً قصمت ظهر ابن ودّ، وهي لا تختلف كثيراً في ظاهرها عن ضربات غيره في ميادين الحرب، ولكن جهاز التقييم الإلهي يرى العمل على حقيقته وهي كونُه صادراً من هكذا موجود له هكذا معرفة.

من هنا نعرف مسألة مهمة جداً وهي مسألة التفاعل بين العلم والعمل، فإن العلم يقود إلى العمل، والعمل أيضا يؤدي إلى العلم، وإن شئت قلت يزيد في العلم، فإنه وكما ورد عن باقر العلوم عليه صلوات الله وسلامه: (**من عمل بما يعلم، علَّمه الله علم ما لم يعلم**) [٧]، فإنه بدايةً لابد أن يصدر العمل عن علم وإلا فـ (**الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة...**) [٨] كما قال هو عليه السلام، ثم هذا العمل يعمق ذلك العلم ويُقرِّرُه فيصير مستقِراً ويكون الإنسان له ـ لذلك العلم ـ مقراً لا مستودعاً ومخزناً، إذاً فهو ـ ذلك العمل ـ يقود إلى مرتبة أعلى وأكمل من العلم التي بدورها تستدعى عملا يتناسب مع هذا المقدار ـ الجديد ـ من المعرفة وهكذا... وهذا ـ التفاعل بين العلم والعمل ـ من الواضحات عندهم، حيث يقول علماء الأخلاق مثلا أن الإنسان إذا أراد أن يكتسب الملكات الفاضلة مثل أن يكون ذاكرا مثلا، فإنه يبدأ بالذكر اللساني الذي سيجره ـ بعد تمكنه من اللسان ـ إلى الذكر القلبي الذي يقود إلى مستوى أعلى من الذكر وهكذا... بل أننا بالوجدان ندرك هذا التفاعل، حيث نصف هذا الدكتور أو هذا المهندس أو... بأنه اعلم باعتباره ممارس لمهنته كذا سنة، ما أدى إلى استقرار ذلك العلم وثبوته واتضاحه عنده. وهذا المعنى ـ التفاعل بين العلم والعمل ـ سارٍ في كل أنواع المعارف، غير منحصر في المعرفة الدينية، بل هو عام شامل، ولذا فالعابد في حديث الإمام الصادق عليه السلام عنوانٌ اخذ لا على نحو الموضوعية كما يقولون، بل الأمر يسري إلى المتطبب والمعلم و...الخ.

ولكن النقطة الجديرة بالاهتمام، والتي ينبغي أن يتوقف الإنسان عندها كثيرا ويتأمل فيها، هي لغة الحديث الذي صدَّرنا به المقالة حيث تستوقف الإنسان لتجبره أن يُسائل نفسه ـ على الدوام ـ هل انه يسير على الطريق الذي يوصله إلى مطلوبه ومراده أم انه يسير على غير الطريق؟؟ فان كان على الطريق فليجدّ السير فإنه واصل لا محالة أما إن كان على غير الطريق فإن سرعة مشيه لن تؤدي به إلى غير الشقاء، ولن توصله إلا إلى مكان يكون فيه ابعد ما يكون عمَّا هو طالب له، وذلك هو الخسران المبين، وهنا إن وعى انحراف طريقه الذي يسلكه غيَّر من الطريق وسلك الجادَّة، وإلا ـ إن لم يعِ ذلك وبقي عنه غافلا وظل يسرع في بعده ـ صار مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[٩]، وهنا تقع الطامة الكبرى، أن الإنسان يعي أن ما كان منه من سعي حثيث لم يكن في طريق التكامل وإنما كان في طريق البعد عن الله تبارك وتعالى، وكان جهلا مركبا وقد كان يحسبه علما ومعرفة، يعي ذلك لكن متى؟؟ في يوم يقال له: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[١٠] ولا يكون كشفُ غطاءِ البصر إلا في موقع لا رجوع فيه إلى الخلف، فلا ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ۞ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾[١١]، فانه يجاب: ﴿اخْسَؤُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾[١٢] لأنه: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ﴾[١٣] ولا: (كنتُ جاهلا)، فانه يقال: (أفلا تعلمت؟). [١٤]

من هنا فان العاقل لا ينتظر مجيء ذلك اليوم ليرى هل انه على الطريق فيفوز، أم انه على غير الطريق فيهلك، بل لابد له أن يتيقن بأنه على الطريق المستقيم، لان كل نَفَس يخرج منه لن يرجع فالعمر ليس موردا للتجربة التي ربما تنجح وربما تخسر، من هنا يبرز هذا السؤال:

هل ثم كيف يمكن للإنسان أن يتيقن من أنه يسلك الطريق الموصل إلى الهدف لا أنه على غير الطريق؟؟

ويأتي الثقلان ليجيبا بأنا نستطيع أن نعلم أنا على الطريق أو لا فإنا إذا سلمنا بان العلم يأتي في مرتبة سابقة على العمل، ويكون العمل بمثابة التابع للعلم لما قدمناه من أن العمل ترجمة لعلم الإنسان واعتقاده- إذا سلمنا بذلك عندها نقول:

إن صحة الطريق لها علاقة وطيدة بالمصادر التي يستقي منها الإنسان علمه ذاك، يقول تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾[١٥] يقول أبو جعفر عليه السلام في تفسيرها: (علمه الذي يأخذه عمن يأخذه) [١٦] فان كانت مصادر علمه نقية خالصة وصل إلى مطلوبه، أما إن كانت مشوبة وغير نقية فمن المحال أنها توصله إلى مطلوبه لأنها ليست طريقا إليه، وعليه فلابد للإنسان من أن يطلب علمه من مواضعه.

وقد ذكرت الآية والرواية مصادر تورث المعرفة الحقة الحقيقة نذكر منها:

التقوى:

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾[١٧]

وورد عن النبي صلى الله عليه وآله انه قرأ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً﴾[١٨] قال: «من شبهات الدنيا، وغمرات الموت، وشدائد يوم القيامة»، ويقول الأمير عليه السلام: (اعلموا أنه من يتق الله يجعل له مخرجا من الفتن، ونورا من الظُلم) ، ويقول: (إن تقوى الله...وبصر عمى أفئدتكم..) ، و (من غرس أشجار التقى جنى ثمار الهدى) . [١٩]

التعلم:

يقول جل جلاله: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٢٠]

من الواضح الذي لا يحتاج إلى إيضاح أن: (من لم يتعلم لم يَعلم) فانه: (بالتعلم يُنال العلم) ، لكن ما ينبغي التركيز عليه هو أنه: (لا علم إلا من عالم رباني) [٢١]، وحيث أنه: (نحن العلماء) [٢٢]، ف: (شرقا و غربا لن تجدا علما صحيحا إلا شيئا خرج من عند أهل البيت) [٢٣]

التفكر:

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٢٤]

(إن التفكر حياة قلب البصير) ، و(لا علم كالتفكر) ، حيث أن: (الفكر يهدي) ، وهو: (إحدى الهدايتين) ، وهو: (يوجب الاعتبار، ويؤمن العثار ويثمر الاستظهار) ، ويقينا أن: (فكرك يهديك إلى الرشاد) ، ف(من أكثر الفكر فيما تعلم أتقن علمه وفهم ما لم يكن يفهم) ، ف(عليكم بالفكر فإنه حياة قلب البصير، ومفاتيح أبواب الحكمة) [٢٥]

العبرة:

يقول الله العظيم: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[٢٦]

أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام أن: (اتخذ نعلين من حديد وعصا، ثم سح في الأرض فاطلب الآثار والعبر، حتى تحفو النعلان وتنكسر العصا) ، فإن: (من اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم) ، و(من اعتبر بعقله استبان) و(في كل اعتبار استبصار) ، و(العبرة تورث ثلاثة أشياء: العلم بما يعمل والعمل بما يعلم، وعلم ما لم يعلم) [٢٧]

التجربة:

يقول الأمير عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: (العقل عقلان: عقل الطبع، وعقل التجربة، وكلاهما يؤدي المنفعة) ، و(في التجارب علم مستأنف) ، و(التجارب علم مستفاد) [٢٨]

فهذه مصادرُ نقية، للإنسان أن يقتبس منها معرفته ومعارفه ويعمل على ضوئها، فإن العمل بما ينتج عنها ضمان للإنسان أن يضل ويخزى.

❖❖❖

الهوامش:

١ ـ الزمر: ٩.
٢ ـ الكهف: ١٠٤.
٣ ـ إحقاق الحق ٢٨: ٤١٦.
٤ ـ شرح إحقاق الحق ٦: ٩.
٥ ـ شرح إحقاق الحق ٣: ٢٢٨.
٦ ـ شرح إحقاق الحق ٥: ٤٨.
٧ ـ بحار الأنوار ٧٥: ١٨٩.
٨ ـ نفس المصدر.
٩ ـ الكهف: ١٠٣ـ١٠٤.
١٠ ـ ق: ٢٢.
١١ ـ المؤمنون: ٩٩.
١٢ ـ المؤمنون: ١٠٨.
١٣ ـ المؤمنون: ٦٦.
١٤ ـ أمالي الطوسي: ٩.
١٥ ـ عبس: ٢٤.
١٦ ـ الكافي ١: ٣٩، ح٨.
١٧ ـ البقرة: ٢٨٢.
١٨ ـ الطلاق: ٢.
١٩ ـ العلم والحكمة: ١٨٥ ـ ١٨٦.
٢٠ ـ العلق: ٤ ـ ٥.
٢١ ـ العلم والحكمة: ١٣٠ ـ ١٣١.
٢٢ ـ بصائر الدرجات: ٢٨.
٢٣ ـ بصائر الدرجات: ١٠، ح٤.
٢٤ ـ آل عمران: ١٩١.
٢٥ ـ العلم والحكمة: ١٢٨ ـ ١٣٠.
٢٦ ـ الحج: ٤٦.
٢٧ ـ العلم والحكمة: ١٣١ ـ ١٣٢.
٢٨ ـ نفس المصدر: ١٣٢.

التحديد الأصيل للمفهوم الإسلامي

سيد حسن السيد أحمد الغريفي
algorefi@hotmail.com

المفهوم الإسلامي:

عند إبراز أي معنى أو فكرة فإنه يتم عن طريقين: إبرازه كمفهوم ذهني أو مصداق خارجي، و (المناطقة) يعرفون المفهوم بأنه: المعنى الموجود في الذهن، أي تصور الشيء وإدراكه، تقول (فهم زيد الشيء) أي علم بالشيء فهو معلوم.[١]

ومرادنا هنا ليس المفهوم المنطقي وتقسيماته، بل نسلط الضوء على المفهوم في بعده (العقيدي) والذي (هو يعبر عن الحقيقة الذهنية التي تتلألأ في مصداقها الحقيقي في الخارج) بحيث تكون حاضرة في كل المسارات، المسار الفكري و التربوي و الاجتماعي.. وتتحرك في كل أبعاد العقيدة والمبدأ.

المفاهيم تختزل مجموعة من المصاديق و الأبعاد والأطر تحت (عنوان جامع) ، و أي منطلق فكري يريد أن يتحرك في الواقع فإنه يصيغ أو يوظّف المفهوم حسب مساره ومبتناه.

ونحن حينما ننزل إلى ساحة الحياة نرى الكثير من التجاذبات والصراعات والتدافعات هنا وهناك ليس على مستوى العراك العملي بقدر ما هي عراك (عقيدي) تحكمه خلفيات ذات تجذر فكري ونفسي..

حتى جبهات الصراع بين الحق والباطل قبل أن تكون جبهة (قتل وقتال) هي جبهة قائمة على أسس حددها المفهوم القرآني بكل وضوح وهو أن تكون: ﴿كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾[٢].

والإسلام لا يريد من إعطاء المفهوم تصور ذهني بسيط، بل المفهوم الإسلامي (يريد أن نستحضر المفهوم بإيمان راسخ ونبض متحرك بحيث تجسد المعنى الرباني في الحياة) .

عن الإمام الرضا عليه السلام: (الإيمان عقد بالقلب، ولفظ باللسان، وعمل بالجوارح) [٣].

بينما كانت رحى الحرب دائرة في معركة الجمل، وأمير المؤمنين عليه السلام منهمك في إعداد المقاتلين وإذا بإعرابي ينهض واقفاً ويقول بصوت عال: (يا أمير المؤمنين أتقول أن الله واحد؟؟!) نظر المقاتلين المنهمكين في الإعداد للقتال وقد إشتاطهم الغضب جميعاً من تصرف الرجل وعدم تقديره لظروف الوضع القائم، وارتفعت الأصوات بالاعتراض عليه..

لما رأى أمير المؤمنين عليه السلام ذلك الأعرابي وسط وابل من الاعتراض و التهجم، تداركه بعبارة ذات (عظة بالغة) حيث قال: (دعوه، فإن الذي يريده الإعرابي، هو الذي نريده من القوم) عبارة في غاية الأهمية.. بعد ذلك أدار الإمام عليه السلام وجهه نحو الأعرابي وأجاب عن سؤاله...[٤]، وعن النبي صلى الله عليه وآله: (لولا ذكر الله، لم يؤمر بالقتال) ففلسفة القتال في سبيل الله غايتها الله و العقيدة واستحضار المعنى الذي أرادته السماء..

تحديد المفهوم الإسلامي:

إذاً أي مفهوم يتحرك في الواقع وفي المسارات الفكرية والروحية والاجتماعية والسياسية ما لم ينطلق من خلفية عقائدية راسخة وحدود شرعية متقنة ونبض خالص من الشوائب.. فإن هذا المفهوم يتحرك في متاهات الإضلال ومسارات الزيف وخط الانحراف.

في الحديث الشريف عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حيث قال:

(يحمل هذا الدين في قرن عدول ينفون عنه:

- تأويل المبطلين
- وتحريف الغالين
- وانتحال الجاهلين، كما ينفي الكير خبث الحديد) [٥]

فالمفهوم الإسلامي يواجه في حركته - وهو صياغة الواقع وفق الإرادة الربانية - ثلاث جبهات فكرية تتلبس المفهوم الإسلامي، فجبهة تأول في الدين حسب ما يمليه هواها ويتكيف مع مصلحتها، و أخرى تحرفه عن مساره الرباني الأصيل، وتمارس عملية الانتحال والتزيف على العقول، بالشبهات و البدع فيهدم الدين من خلالهم، عن الإمام علي عليه السلام: (ما هدم الدين مثل البدع) .[٦]

إذا المسألة خطيرة جداً تتحتاج إلى (النفر) الذين يفقهون دين الله والذين لا يأخذونه إلا عن ورع وإجتهاد، ولا يمكن لأحد أن يحدد مفاهيم السماء ويقيم حجج الله على عباده أو يتطفل بالتحدث بإسم الدين إلا من خولهم حجة الله على أرضه (عج) في الرواية عنه.. وهم الفقهاء العدول و العلماء الربانين، فالمسألة بكل بساطة خاضعة لتشخيص الطبيب، فهو أعلم بالدواء وزمانه وحدوده ومقداره، وكل من يخطئ في أخذ الجرعة حسب وصف الطبيب فهو يحتمل تبعات عدم الإطاعة.

فالقرآن الكريم بدون التمسك بالعترة الهادية عليهم السلام الذي (كلامكم نور وأمركم رشد ووصيتكم التقوى) لا يكون منطلقه الفكري صافي خالص مطابق لإرادة السماء بل يكون عليه وبالاً ويكون فهمه ضيقاً ساذجاً..

والمتفحص على مدى التاريخ يجد بأن المفهوم الإسلامي الأصيل واجه هذه الجبهات الفكرية الثلاث وهي: (التحريف، الانتحال والتأويل) وهي مستمرة إلى يومنا هذا.. وهي أخطر من الجبهات العسكرية.

وأصحاب هذه الجبهة المضادة هم هؤلاء (النفر) الذي يحدد الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام أدوارهم في عصر الغيبة، فيقول: ((لولا من يبقى بعد غيبة قائمنا عليه السلام من العلماء:

الداعين إليه، والدالين عليه، والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلا أرتد عن دين الله)).[٧]

إذاً الأدوار واضحة والمسألة صعبة وهي أمانة الدين وحراسة الإسلام وأن نكون الأدلاء عليه، فلا مجال للتباهي والإستطالة والمراء في الأخذ عن دين الله.

الإمام الخميني.. وأنموذج تأصيل المفهوم:

هناك جزء من حركة الإمام (قده) كان له الأثر البالغ في استحضار المفهوم العقائدي على مسرح الحياة، فهو (قده) بدء الصراع وهو يستحضر المفهوم القرآني بكل وضوح (المستضعفين ـ المستكبرين) (الولاء ـ البراءة) وفي كل الميادين يضع للأمة المفهوم الأصيل للموقف والذكرى مثلاً مولد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله (أسبوع الوحدة الإسلامية) مولد الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام (يوم المرأة المسلمة) .... يوم ميلاد الحجة (عج) (يوم المستضعفين) .. وهكذا حرك المفاهيم في المناسبات والمواقف، بحيث تعيش الأمة في ظلال العقيدة وترى أجواء الإيمان وتساهم في صياغة واقعها..

لذا علينا أن نستحضر المعاني السامية والمفاهيم الأصيلة من أجل تأصيل واقعنا في مسارات العقيدة والمبدأ، خصوصاً ونحن (نعيش حرب الأفكار والعقول) لا (حرب السيوف) فحسب. فحركة الاستكبار قائمة على عقول الشيطنة وتوظيف الأفكار والمفاهيم في مساراتنا التعليمية وعبر مشاريع الإفساد في كل الأبعاد، بحيث يرفع مفاهيم

حقوق الإنسان ويتستر بها، سالباً بذلك عقول شبابنا.

وبذلك ـ يتحرك الاستكبار العالمي ـ في حركته على مسارين:

ـ المسار العسكري ـ عبر الغدة السرطانية (إسرائيل)

ـ المسار الثقافي (العقيدي) عبر التحلل الخلقي بواسطة أجهزة الإعلام وأنظمة التعليم وأروقة السياسة والاقتصاد..

الأمة كما ترى أمام (أخطبوط) يلف جميع مسارات التحرك من أجل ترسيخ العقيدة وإعلاء كلمة الله، وكلا المسارين لا يمكن لنا مواجهته إلا عبر جهادين (الجهاد الأصغر والأكبر) .. ولا يمكن ذلك إلا عبر التمسك بالأمر الصعب وهو (الولاية للفقيه) لمواجهة وإفشال مخطط الشيطان الأكبر.

ـ يذكر الشهيد الصدر (قده) في ضمن أهداف المرجعية الصالحة بضرورة (إيجاد تيار فكري واسع في الأمة يشتمل على المفاهيم الإسلامية الواعية، من قبيل المفهوم الأساسي الذي يؤكد بأن الإسلام نظام كامل شامل لشتى جوانب الحياة، و اتخاذ ما يمكن من أساليب لتركيز المفاهيم) [٨].

❖❖❖

الهوامش:

١ـ مذكرة المنطق، الفضلي: ٥٤.

٢ ـ التوبة: ٤٠.

٣ ـ ميزان الحكمة ١: ١٩١.

٤ ـ مباني المعرفة، ري شهري:٢٠.

٥ ـ ميزان الحكمة ٣: ٢٥٥٧.

٦ ـ ميزان الحكمة ١: ٢٣٦.

٧ ـ ميزان الحكمة ٣: ٢٠٨٧.

٨ ـ شهيد الأمة ١: ٢٦٤.

لمن حق الإفتاء؟؟

عزيز حسن سلمان الخضران

Aziz_hassan_٧٠٥@hotmail.com

عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أنه قال: (من أفتى بغير علم، لعنته ملائكة السماء والأرض). [١]

وعن الإمام الباقر عليه السلام: (من أفتى الناس بغير علم ولا هدى، لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، ولحقه وزر من عمل بفتياه). [٢]

إن مسألة الإفتاء وبيان الأحكام الشرعية، مسألة مهمة وخطيرة في نفس الوقت، ولذلك فقد أهتمّ بها الشارع المقدس أشدّ الإهتمام وأولاها العناية الفائقة، وبين شروطها وشروط من يتصدى لها.

الفتوى حق الله تعالى:

ونحن هنا نريد أن نبين أمرا مهما، وهو أنه لا يحق لأحد من الناس التصدى لمقام الفتوى إلا بإذن من الله تعالى، وهو وحده تعالى يمتلك هذا الحق، لأن الأحكام الشرعية هي أحكامه، ولا يمكن لأحد أن يكون وكيلا عن الله عز وجل إلا بوكالة منه تعالى.

يقول العلامة الطباطبائي (رضوان الله عليه) في الميزان في ضمن تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ الله يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ [٣]

(... ويفيد الكلام حينئذ إرجاع أمر الفتوى إلى الله سبحانه وصرفه عن النبي صلى الله عليه وآله والمعنى: يسألونك أن تفتيهم في أمرهن قل: الفتوى إلى الله وقد أفتاكم فيهن بما أفتى فيما أنزل من آيات أول السورة). [٤]

إذن التشريع والإفتاء حق يختص بالله عز وجل، وما الرسول إلا

مبين وموضح وهاد، يهدي الناس إلى الصراط المستقيم ويبين لهم أحكام الله عز وجل، وهو صلى الله عليه وآله ﴿مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾، أي أن كلامه وحي من الله عز وجل، ولم ينطق به عن هواه.

وكذلك أئمة أهل البيت عليهم السلام قولهم هو قول الرسول صلى الله عليه وآله، فعن الإمام الباقر عليه السلام: (لو كنا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكنا نفتيهم بآثارنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وأصول علم عندنا نتوارثها كابرا عن كابر، نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم) .[٥]

هذا في أهل البيت عليهم السلام وما أدراك ما أهل البيت، فكيف بغيرهم من بقية الناس الذين لا يكون علمهم بالنسبة الى علم أهل البيت عليهم السلام إلا كنسبة القطرة الى البحر الواسع، بل أقل من ذلك.

مع وجود المعصوم عليه السلام:

مع وجود الأئمة عليهم السلام، في حال التمكن من الوصول إليهم ،لا يجوز الرجوع إلى غيرهم مهما كانت منزلتهم العلمية، لأن الرجوع إلى غيرهم هو رجوع إلى غير الله عز وجل، فإنهم هم خلفاء الله على الأرض قولهم قوله، و حكمهم حكمه.

في زمن الغيبة:

وأما في زمن الغيبة الكبرى التى لا يمكن الوصول فيها إلى الإمام المعصوم عليه السلام مباشرة فإن حق الإفتاء يكون من حق الفقهاء وحدهم إذا توفرت فيهم شروط الإفتاء كالعدالة والفقاهة والإيمان وغير ذلك من الشروط، ويجب على العوام الرجوع إلى الفقهاء في أخذ الأحكام الشرعية، ولا يجوز لهم الرجوع إلى غيرهم ممن لم تتوفر فيهم شروط الإفتاء.

وهذا الأمر قد بينه أهل البيت عليهم السلام في كلامهم وأحاديثهم، وأوجبوا على الناس الرجوع إلى الفقهاء من بعدهم، ولما كان الرجوع إلى غير

المؤهل لهذا المنصب أمرا خطيرا وله نتائجه السيئة على الدين والشريعة، فقد أهتم الأئمة عليهم السلام ببيان صفات الفقهاء وحذروا من الرجوع إلى غير اللائقين منهم فعن النبي صلى الله عليه وآله: (الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا، قيل يا رسول الله ما دخولهم في الدنيا؟ قال: اتباع السلطان، فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على أديانكم) .[٦]

وإذا توفرت الشروط في شخص، فلا يجوز لأحد الرد عليه والراد عليه كالراد على الله تعالى كما في بعض الروايات، وذلك لأن الفقيه هو أمين الرسول والرسول هو أمين الله في الأرض، وكما أنه لا يجوز الرد على الرسول والإمام، فكذلك لا يجوز الرد على الفقيه.

عناء الفقيه:

ثم إن الفقيه لا يكون مرجعا للناس إلا بعد أن يقضي وقتا طويلا في الدرس والتدريس والمباحثة والمطالعة، ويسهر الليالي ويقضي الساعات الطويلة لأجل الوصول إلى الحكم الشرعي الصحيح، فمن باب ف﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلا الْإِحْسَانُ﴾ يجب على الناس احترام هذا الفقيه وتقديره وتعظيمه وتقديسه، اذ لولا الفقهاء لوجب على الجميع تحصيل ذلك، لأن الإجتهاد واجب كفائي إذا قام به البعض سقط عن البعض الآخر، والفقهاء قد كفونا مؤونة الدرس والبحث والإجتهاد فجزاهم الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء.

تشريف أم تكليف:

ثم هناك نقطة مهمة جدا، وهي أن الإفتاء ليس تشريفاً للفقيه، بل هو تكليف مجهد، ومسئولية كبرى، وثقل عظيم، لا يتحمله أكثر الناس.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (واهرب من الفتيا هربك من الأسد ولا تجعل رقبتك للناس جسرا) .[٧] فليست المسألة بسيطة كما يتصورها بعض الناس في أن الفقيه مجرد أن يقرأ كتابين أو ثلاثة ثم

يفتي الناس بعد ذلك، بل نحن نرى أن العالم لا يصل إلى مقام المرجعية والتصدي للإفتاء إلا بعد أن يكبر عمره ويحدودب ظهره، إلا القليل النادر.

في العصر الحاضر:

وفي هذا العصر الذي تكالبت فيه القوى المستكبرة والمعادية للإسلام على محق الدين وحرف الناس عنه وإبعادهم عن قادتهم من العلماء والفقهاء، نرى كثيرا من الناس الذين يسمّون أنفسهم بالمثقفين المنفتحين، يحاولون أن يجعلوا أنفسهم ندا للعلماء والفقهاء، وأن يجذبوا الناس إليهم من خلال تأليف بعض الكتب وإلقاء المحاضرات، ويتدخلون بشكل صريح ووقيح في أمر الدين مما لا اختصاص لهم فيه، فتراهم يفتون الناس ويعطونهم الأحكام الشرعية وإن كان ذلك بأساليب تختلف عن طريقة الفقهاء الذين يفتون الناس بواسطة تأليف الرسالة العملية، قال تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ الله عَظِيمٌ﴾(٨)

وقسم من هؤلاء الأشخاص هم من المنتسبين ظاهريا إلى المذهب الشيعي، وللأسف الشديد فإن أفكار أمثال هؤلاء قد وصلت وانتشرت في كثير من بلداننا المحافظة، وقد تبناها بعض الأشخاص وراح يروج لها علنا.

ونحن نذكر هنا بعض الأمور:

الأمر الأول: إن باب الإجتهاد مفتوح في المدرسة الإمامية فيستطيع كل واحد خوض هذا الطريق، ولكن لا يجوز لأي شخص لم يصل إلى درجة الإجتهاد أن يفتي الناس: (من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض).

وهذا الأمر طبيعي جدا لا يختص بباب الإجتهاد، فإن نفس الفقيه

مـثلا لا يجـوز لـه أن يتـدخل فيمـا يخـص الطبيـب أو المهنـدس أو الميكانيكي.

الأمـر الثـاني: أن هـؤلاء الأشـخاص الـذين يخـالفون الفقهـاء ويعارضونهم ربما لا يقبلون أن يكونوا أتباعا لغيرهم يأتمرون بأوامرهم وينتهون عن نواهيهم، ولا يقبلون أن يسمّون (بالعوام).

وهذا التفكير ناتج عن الأنانية والتكبر في نفوس هؤلاء، فنحن إنما نطيع ونتبع الفقهاء لأن الله تعالى أمرنا بذلك، فالتكبر على الفقهاء تكبر على الله عز وجل.

ثم إن نفس الفقهاء يتبعون الأئمة عليهم السلام مع أن بعض الأئمة كان صغير السن جدا كالإمام الجواد عليه السلام فإنه عندما تسلم منصب الإمامة المقدسة لم يكن قد تجاوز الثامنة بعد، ومع ذلك فقد سلّم له جميع الفقهاء الذين كانوا أسن منه ومن أبيه.

وأما الحساسية من كلمة (العوام) فإنها مجرد لفظة تدل على أن الشخص غير مختص في هذا المجال، فالفقيه مثلا بالنسبة للطب عامي، ولا ضير في هذه الكلمة.

الأمر الثالث: إن إتباع الفقهاء وإن كان واجبا، ولكن ليس أيّ فقيه فليست الفقاهة هي الشرط الوحيد في الفقيه، بل هناك شروط أخرى وأهمها العدالة والإيمان.

فنحن إذن عندما نتبع الفقيه، إنما نتبع من نطمئن إليه ونركن إلى عدالته وتقواه وورعه، نتبع من يكون أمينا على الدين والدنيا.

ولا شك أن وجوب إتباع الفقهاء المخلصين والمتقين إضافة إلى حث الشرع عليه، فإن العقل أيضا يوجب علينا ذلك.

الأمر الرابع: إن الأشخاص الذين تكلمنا عنهم وقلنا إنهم يتدخلون في الدين مع أنهم غير مختصين في ذلك، يجب علينا أن نعرف

سيرتهم جيدا، وندرس حياتهم هل أنهم حقا حريصون على الدين؟ وهل هم من المدافعين عن الإسلام وعن أحكامه وقوانينه ويريدون أن يصلحوا؟ أم أنهم من المتأثرين بالأفكار الدخيلة علينا من الغرب، وأنهم يريدون أن يفسدوا شبابنا وشاباتنا، وأن يبعدوهم عن العلماء والفقهاء حسدا وعدوانا؟

لا أشك أن هؤلاء من مصاديق من يحارب الله ورسوله، وإن تغطوا بلباس الدين حتى لا تكشف عوراتهم المغيبة، وحتى لا تتبين أهدافهم المسمومة.

الأمر الخامس: إن من صفات هؤلاء الإشخاص:

١ـ تضعيف مواقف العلماء والفقهاء ومعارضتهم وسلب القدسية عنهم.

٢ ـ التأثر الواضح بالأفكار الغربية.

٣ ـ كثرة استخدام المصطلحات الجديدة غير المفهومة والألفاظ المعسولة.

٤ ـ الدعوة إلى الانفتاح الغير محدود على العالم الغربي، والانبهار بالأفكار والتقنية الغربية.

وخطورة أمثال هؤلاء الأشخاص يبينها لنا قول الرسول صلى الله عليه وآله: (من أفتى بغير علم وهو لا يعلم الناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه فقد هلك وأهلك) .[٩]

فئة أخرى: وفي مقابل هؤلاء الأفراد الذين لا يرون ـ حسب اعتقادهم السخيف ـ أن حق الإفتاء خاص بصنف معين من الناس بل هو عام للجميع لكل من هب ودب، توجد مجموعة أخرى من الناس الذين وإن كانوا يعتقدون بأن حق الإفتاء خاص بالفقهاء، إلا أنهم يخطئون أحيانا في التشخيص، فيبدون وجهات نظر خاصة لهم في

أمور يعتقدون ـ خطئا أو غفلة أو تسامحا ـ أنها من الأمور والقضايا الخارجية التي يكون التشخيص فيها موكول إلى نفس المكلف ولا دخل للفقيه فيها، بينما هي من الأمور و القضايا الفقهية التي يختص بها الفقيه، وسواه من الناس يجب عليهم الرجوع فيها إلى هذا الفقيه.

أضرب لكم مثالا لبيان المقصود والمراد، مسألة غير الإمامي من المسلمين، هل يحكم بإسلامهم وطهارتهم أولا؟ من المعروف أن رأي المشهور من علماءنا الأعلام هو كونهم مسلمين ويحكم بطهارتهم وتجوز ذبائحهم و النكاح منهم، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين. فهذا كما هو واضح مسألة فقهية لا يجوز لأحد غير الفقيه أن يتدخل فيها أو يبدي وجهة نظر خاصة، ولكن نرى بعض الأشخاص من هنا وهناك يتدخل في مثل هذه الأمور ويبدى وجهة نظر خاصة لكونه ربما قرأ رواية أو روايتين وفسرها بتفسيره وذوقه الخاص، وهو يعتقد أن في ذلك خدمة للدين والشريعة، والرسول ﷺ يقول: (من أفتى الناس بغير علم كان ما يفسده من الدين أكثر مما يصلحه) .[١٠]

وهكذا في المسائل الأخرى المشابهة، وفي الحقيقة إن خطورة مثل هذا الأمر لا تقل بكثير عن خطورة أولئك الذين يرون أن حق الإفتاء حق عام لكل الناس، لأن النتيجة واحدة عند الطرفين.

نعم للمكلف العامي أن ينسب هذا القول أو ذاك إلى هذا الفقيه أو ذاك الفقيه إذا كان ذلك الفقيه مستجمعا للشرائط.

ثم يجب أن نعرف جميعا أننا لسنا بأشد حرصا وغيرة على الدين من العلماء والفقهاء، بحيث أننا وبكل جرأة وسهولة ننسب هذا العالم وذاك إلى التساهل في أمر الدين، وعدم الغيرة على المقدسات، وأن هذا العالم أثرت السياسة على أفكاره وآراءه، وأن ذاك العالم كان ينبغي أن يرتأي الرأي الفلاني، وأن فتوى هذا شاذة مخالفة للمشهور فنجرح في

شخصيته، وننزل من مكانته التي في قلوب الناس.

نعم إذا تبين أن هذا العالم غير مؤتمن على الدين، وكان من الصلاح أن تجرح شخصيته أمام الناس فبها، وإلا فنحن غير معذورين أمام الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والحمد الله رب العالمين

❖❖❖

الهوامش:

١ ـ ميزان الحكمة ٣: ٢٣٧٢.

٢ ـ نفس المصدر.

٣ ـ النساء: ١٢٧.

٤ ـ تفسير الميزان ٥: ١٠٠.

٥ ـ ميزان الحكمة ٣: ٢٣٧٣.

٦ ـ نفس المصدر: ٢١٠١ـ ٢٤٥٩.

٧ ـ نفس المصدر: ٢٣٧٣.

٨ ـ النور: ١٥.

٩ ـ ميزان الحكمة ٣: ٢٣٧٢.

١٠ ـ نفس المصدر.

((من أفتى الناس بغير علم كان ما يفسده من الدين أكثر مما يصلحه))

ميزان الحكمة ٧: ١٥٣٥٣

المرأة
في المنظور الإسلامي

السيد رضا الموسوي
srALmosawi@hotmail.com

لقد عظم الإسلام شأن المرأة ورفعها من ظل الظلم والهوان وجعلها ذات قيمة حيث لا يمكن للمجتمع الاستغناء عنها بعد ما كان التهميش والظلم يخيم عليها، ولم تكن تحظى بشأن أو مكانة تستحق التقدير والتاريخ يشهد بذلك حيث كانت في نظر الجاهلية تعتبر عاراً عليهم فتدفن حية ترزق وكانت تسمى في اليونان رجساً من عمل الشيطان وعند الروم أن ليس لها نفس وفرنسا إنها مخلوق لخدمة الرجل وكانت في انجلترا لا تعد من المجتمع الإنساني، وفي بعض المجتمعات تعتبر مصدر الشؤم ويحجر عليها والكثير الكثير مما يشهد بذلك وللأسف الشديد وفي عصرنا الحالي أيضاً البعض يتبنى الفكرة التي تقول بأن المرأة خلقت للأعمال المنزلية فقط ولا علاقة لها بباقي الأدوار... طبعاً هذا لا يعني بأننا من دعاة انفتاح المرأة اللاشرعي وتحررها بالمنظور الغربي الساقط. وبعد أن رفع الإسلام المرأة إلى هذه المنزلة يأتي دورها في الاستخلاف.

الاستخلاف الإلهي للمرأة:

من المفاهيم الأساسية التي عني بها الإسلام كثيراً وأعارها أهمية بالغة، مفهوم الاستخلاف الذي يخص الإنسان بشقيه الذكر والأنثى أي أنه يشمل الجنسين معاً.

ويرتبط مفهوم الاستخلاف بالمفاهيم الإسلامية الأخرى، ولعل

أبرزها مفاهيم العبادة وعمارة الأرض في فهم رؤية الإنسان ووظيفته في هذا الكون من ناحية، كما أنه من ناحية أخرى مفهوم تحليلي تدرس في ضوئه حركة الإنسان لتحقيق وظيفته في هذه الحياة، حيث هو المسؤول عن أداء الأمانة و الخلافة والاستقامة على المنهج الحق.

وفي إطار الرؤية الإسلامية للمرأة يعد مفهوم الاستخلاف مفهوماً حاكماً، حيث إن استخلاف الإنسان يتضمن الرجال والنساء، حيث أن من الأمور الجديرة بالتأمل في اللغة العربية، لغة القرآن بأن لفظ (إنسان) وهو الواحد من بني آدم، ويذكر ويؤنث، فيقال هو إنسان، وهي إنسان. ويدل على شمول الاستخلاف للرجال والنساء آيات عديدة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى:

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾[1]

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[2]

فالاستخلاف هو الأساس الذي يقوم عليه توحيد المرأة و الرجل في ظل علاقة الولاية التي عبرت عنها الآية الكريمة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾[3]

وفي ظل الرابطة الإيمانية في إطار الأمة، أي إن المساواة في الإنسانية هي الأصل بين الاثنين في ظل الأخوة في الله التي عبر عنها الحديث الشريف: (النساء شقائق الرجال) ، مع التسليم بوجود الفوارق من حيث التركيبة العضوية، التي ينتج عنها الاختلاف في الوظائف والمهام، بما ينسجم مع كلٍ منهما.

منزلة المرأة وكرامتها في الإسلام:

لقد كرم الإسلام المرأة بنحو لم يكن له سابقة في التاريخ حيث

انتشل الإسلام المرأة من مجتمع كانت فيه لا تحرك ساكناً فكانت جسداً بلا روح، فجعلها إنسانة ذات رأي و كيان وشخصية مستقلة أصبحت المرأة في الإسلام إنساناً عظيماً، فهي مربية المجتمع، فمن أحضان المرأة يولد الرجال، ولهذا فسعادة البلدان وتعاستها منوط بالمرأة لأن تربيتها الصالحة تصنع الإنسان وتعمر البلاد، بعد هذه المنزلة تحتل المرأة نصف المجتمع إذا لم يكن أكثر، فلو جردوا الأمم من النساء الشجاعات والمربيات فسوف تهزم هذه الأمم وتؤول إلى الانحطاط لا محالة.

حقوق المرأة في الإسلام:

نظر الإسلام إلى المرأة على قدم المساواة مع الرجل في الإنسانية ولا شك في وجود أحكام خاصة تتناسب وطبيعة الرجل، وأخرى خاصة بالمرأة تتناسب وخصوصياتها، إلا إن هذا لا يعني بأن الإسلام يفاضل بين الرجل والمرأة فهذه الأحكام جميعها تصب لصالحهما.

إن المرأة في النظام الإسلامي تتمتع بالحقوق ذاتها التي يتمتع بها الرجل، بما في ذلك التعليم والعمل، وفي مختلف المجالات التي يمارس الرجل دوره فيها مع التقيد بالأحكام الشرعية، للمرأة الحق في ممارسة دورها بيد أن هناك أمور تعد مزاولتها من قبل الرجل حراماً لأنها تقوده إلى المفاسد، وأخرى يحظر على المرأة مزاولتها لأنها توجد مفسدة، ومن هنا يتحقق بأن المرأة نصف المجتمع، لقد أراد الإسلام للمرأة والرجل أن يحافظا على كيانهما الإنساني فهو لا يريد للمرأة أن تصبح ألعوبة بيد الرجل، وإن ما يرددونه في الخارج من أن الإسلام يتعامل مع المرأة بخشونة وعنف، لا أساس له من الصحة، وهو دعاية باطلة يروج لها المغرضون، وإلا فإن الرجل و المرأة كلاهما يتمتع بصلاحيات في الإسلام، وإذا ما وجد تباين فهو لكليهما وذلك عائد إلى طبيعتهما.

إن الإسلام يأخذ بعين الاعتبار حقوق المرأة، مثلما يهتم بحقوق الرجال.

دور المرأة في بناء المجتمع:

تمتلك المرأة من وجهة نظر الإسلام دوراً حساساً، في بناء المجتمع الإسلامي، وإن الإسلام يسمو بالمرأة بما يؤهلها من استعادة مكانتها الإنسانية في المجتمع، والترفع عن الشيئية وعن كونها سلعة تتداول بين الأيدي، وتستطيع المرأة بما يتناسب بمكانتها هذه أن تأخذ على عاتقها مسؤوليات كثيرة في تركيبة المجتمع الإسلامي، وتشارك في بناء المجتمع شأنها شأن الرجل في جميع الميادين تحت الضوابط الشرعية، فعلى سبيل المثال التربية، فالأعداء يخشون أن ينشأ الأطفال على التقوى في أحضان الأمهات الملتزمات بالمنهج الإسلامي لأنهم يدركون جيداً أنه إذا ما تربى الأبناء على هذه التربية، فسوف تذهب جميع مساعيهم هدرا، وفي اعتقادي بأن لب المجتمع الإسلامي هو المرأة ومثال ذلك دور المرأة الإيرانية في انتصار الثورة الإسلامية.

تساوي الرجل والمرأة في القرآن:

تفسير نور الثقلين عن مقاتل بن حيان: لما رجعت أسماء بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب دخلت على نساء رسول الله ﷺ فقالت: هل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن النساء لفي خيبة وخسار! فقال: ومم ذلك؟ قالت: لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال. فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤]

نساء خالدات:

خلد الإسلام ذكرى الكثير من النساء، لنتصفح تلك الصفحات المشرقة ونبدأ بالسيدة فاطمة الزهراء عيها السلام التي جسدت الهوية الإنسانية الكاملة، وابنتها السيدة زينب بطلة كربلاء عليها السلام وهي كانت الصوت الإعلامي الذي أوصل ثورة الإمام الحسين عليه السلام لأسماع العالم عبر مواقفها البطولية في كربلاء ثم خطابها الملتهب الذي طرقت فيه مجال الإعلام و السياسة الإسلامية من أروع أبوابها وهي واقفة ضد الظلم من دون خوف أو تردد، وتمر الأيام ويأتي لنا الإسلام ببطلة أخرى من أبطاله وهي حميدة البربرية زوجة الإمام الصادق وأم الإمام الكاظم عليهما السلام، كانت مجتهدة في زمانها، إذ كانت الأفكار والمذاهب الدخيلة تغزو الأمة حينها وكان الصراع الفكري بين الإسلام ومناوئيه على أشده، فكانت حميدة الساعد الأيمن لزوجها على صعيد قضايا المرأة.

ومن تلك النساء اللاتي افتخر بهم شخصيا آمنة الصدر المعروفة ببنت الهدى أخت الشهيد الصدر، حيث رفعت لواء المعارضة ضد النظام السابق في العراق، وتعتبر بنت الهدى أول شهيدة في طريق النضال وتحرر المرأة من ألاعيب الاستكبار العالمي المتمثلة في مسخ الهوية الدينية والعفة الزينبية في العراق ونأمل أن يخرج من يمثلها اليوم وأخواتها من الشهيدات على ساحة العراق.

بعض كلمات الإمام الخميني (قدس سره) بمناسبة يوم المرأة:

(إن أحضان المرأة منطلق جميع السعادات، ولكن للأسف جعلوا من المرأة ألعوبة) .

(تحظى المرأة بدور كبير في المجتمع، المرأة مظهر تحقق آمال البشرية، المرأة مربية النساء والرجال المحترمين، من أحضان المرأة

ينطلق الرجل في عروجه، أحضان المرأة مهد تربية نساء ورجال عظام) .

(السلام والتحية للأمهات اللاتي ضحين بأبنائهن بكل اعتزاز وفخر)

❖❖❖

المراجع:

مكانة المرأة في فكر الإمام الخميني (قدس سره).

مجلة الطاهرة العدد: ١٥٠ .

ميزان الحكمة، المجلد التاسع.

❖❖❖

الهوامش:

١ ـ آل عمران: ١٩٥ .

٢ ـ النحل: ٩٧.

٣ ـ التوبة: ٧١.

٤ ـ الأحزاب: ٣٥.

الإسلام يسمو بالمرأة بما يؤهلها من استعادة مكانتها الإنسانية في المجتمع

مقتطفات من هنا وهناك

محمود جاسم البصري

كربلاء:

كربلاء تمتاز بتاريخها الحافل بالأمور العظام والحوادث الجسام حيث شهدت تربتها حادثة من أنبل وأشرف ملامح الشهادة والفداء ألا وهي حادثة الطف الخالدة على مر التأريخ التي استشهد فيها الإمام الحسين عليه السلام والذي ضحى بنفسه وعياله في سبيل إحياء الإسلام وإعلاء كلمة الله، ولا يزال على مر التأريخ يزار مرقده الشريف الذي يعتبر من أعظم المزارات وأشهرها، كما أن فيها عدد من المزارات تضم النخبة من الشهداء الذين سقطوا في واقعة الطف سنة ٦١ هـ دفاعا عن الإمام الحسين عليه السلام.

وكربلاء موضع قديم، اختلف في اشتقاق اسمه، فقيل هو من الكربلة (أي الرخاوة) لأن أرض هذا الموضع كان رخوا، وقيل غير هذا، كما أنها عرفت بهذا الاسم قبل الإسلام وذكرها بعض العرب الذين رافقوا خالد بن الوليد في فتحه للعراق أيام خلافة أبي بكر سنة ١٢ هـ كما أطلق عليها أسماء عديدة منها الغاضرية ونينوى والطف.

مدينة قم المقدسة:

هي مدينة العلوم الإسلامية التي تمثل قلب الثورة الإسلامية النابض، وقائدها الكبير الإمام الراحل (قدس سره) وهي التي ربت ولا زالت تربي طلبتها وأبنائها من الشعوب، وهي مركز شعاع الفكر

الإسلامي الأصيل ومقر المرجعية الدينية.

يذكر أن قم كانت أول تأسيسها على قسمين عجمي وعربي ويسمى القسم العجمي بـ (كوميندان) والقسم العربي كان يسمى حتى سنة ١٣٥٩م (عربستان) أو (حسين آباد)، وكان لوجود مرقد السيدة الجليلة فاطمة المعصومة عليها السلام في المدينة الفضل في إعمارها وتوسعتها.

تبلغ مساحة المدينة ٣٨٠كم٢ وتوجد فيها ٢٥٦ قرية وتحيط بالمدينة مجموعة من الجبال يصل ارتفاعها ٣١٩٣م، منها جبل تخت الذي يبعد ٤٧كم عن المدينة.

ماذا تعرف عن مدينة (ارم ذات العماد)؟

تقع في صنعاء في اليمن في المنطقة المنخفضة في المشرق اليمني المسماة (الاحقاف) وهي القسم الأسفل من الأراضي الرملية التي هي أقرب إلى البادية منها إلى الصحراء في أطراف الربع الخالي.

وقيل: إنها تقع ما بين حضرموت وصنعاء على بعد ١٤كم غرب مدينة مأرب.

ينسب بناء هذه المدينة العجيبة، والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم إلى الملك الأسطوري (شداد بن عاد) الذي شيدها مع قوم عاد والتي كانت منازلها قريبة من ثمود، وسميت هذه المدينة بـ (إرم) نسبة إلى (عاد بن عوص بن إرم) وهم قوم من العرب القدامى، ووصفت بذات العماد لان شداد بنى داخل المدينة مئة ألف قصر على أعمدة من الزبرجد والياقوت طول كل عمود ١٠٠ ذراع و أصبحت تعرف بـ (ارم ذات العماد) ولم يخلق مثلها (أي مثل تلك الأعماد) في بلاد حضرموت التي أطلق عليها أيضا (بلاد الزهور).

لقد كان لعاد ابنان هما (شداد وشديد) فلما مات شديد خلص

الأمر لشداد الذي أصبح ملكا اسطوريا تدين له ملوك المعمورة، فلما سمع بحديث الجنة أراد أن يبني مدينة في بعض صحاري عدن على مثالها فوكل مئة رجل تحت كل رجل منهم ألف من الأعوان وأمرهم أن يطلبوا فلاة من أرض اليمن ويختاروا أطيبها تربة، ومكنهم من الأموال، ثم قام بجمع ما في أرضهم من الذهب والفضة و الدرر والياقوت، ثم بنى تلك المدينة، ولما أنكر ما دعاه إليه النبي هود عليه السلام عزم على الخروج إلى مدينته هذه حتى جاءت صرخة من السماء قضت عليه وعلى قومه وغارت المدينة التي بناها في جوف الرمال.

لم يكن وجود هذه المدينة آنذاك من نسج الخيال، ويدل على ذلك ما أشار إليه القرآن الكريم في كثير من الآيات بأن كارثة طبيعية حصلت لقوم النبي هود عليه السلام وقضت على عاد وثمود، كما أن العلاقة بين أهل عاد، الذين كانوا يتمتعون بثروة عظيمة في بلاد طمرتها الرمال وبين ما أسنده المفسرون إلى الآية الكريمة التي ربطت بين قوم عاد والأحقاف بقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ .

ماذا تعرف عن عرش (الملكة بلقيس) ؟

إن عرش ملكة سبأ من الشواهد التاريخية التي أكدتها المصادر اليهودية، وأشار إليها القرآن الكريم بقوله: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۞ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ كما نجد تفصيلا لزيارة ملكة سبأ لسليمان عليه السلام.

يقع عرش بلقيس في مدينة مأرب باليمن في الضفة اليسرى من وادي (أذنة) عاصمة دولة سبأ القديمة، وتعرف بالمدينة الأثرية القديمة التي كان يقع فيها عرش بلقيس بـ (صرواح) ، كما أن عرش بلقيس يعرف عند أهل المنطقة بعرش بلقيس الأعلى في جبل يسمى (هيلان) ، وكان لبلقيس قصر اسمه مذكور في النقوش اليمنية

القديمة وفي هذه المدينة التي بقيت عاصمة لسبأ قرونا عديدة، يوجد كذلك معبدان يعرفان (بمحرم بلقيس) و (عرش بلقيس) ، وفي سنة ١٩٥٢ م عثرت بعثات التنقيب عن الآثار، والتي تركز عملها على مدخل معبد (أوام) المعروف (بمحرم بلقيس) على كنوز ملكة سبأ، فتم العثور على مئات الأحجار المنقوشة بخط جميل.

عالم الإنترنت:

تقول بعض الإحصائيات بلغ مستخدمي الإنترنت في العالم ٣٩١ مليون مستخدم، ويتوقع أن يبلغوا حوالي ٧٧٣ مليون مستخدم في عام ٢٠٠٣، ونحن الآن في عام ٢٠٠٥ فماذا تتوقع عدد أشخاص مستخدمي الإنترنت؟!!

هناك دراسات في هذا المجال تقول: إن من أكثر المجالات استخداما للإنترنت هم المدمنين في حجرات الحوارات الحية التي تعرف بـ (الدردشة) حيث يقوم الناس بالتعرف على أصدقاء جدد ويقضون أوقاتاً طويلة في الثرثرة مع هؤلاء الأصدقاء عن مشاكلهم الشخصية أو عن الأمور العامة، أو في كثير من الأحيان يكون الحوار عن الحب والغرام بين الجنسين، وقد يقوم الشخص بعمل علاقة غرامية مؤداها الوقوع في المهالك التي يخجل القلم بالتعبير عنها، وقد تستغرق تلك العلاقة شهوراً، وفي بعض الأحيان يتقابل الطرفان في الحقيقة، ولا يلزم هنا ذكر مدى شرعية تلك النوعية من العلاقات التي يتحدث الطرفان فيها بما يعف اللسان عن ذكره من محرم الكلام.

وإن لمثل هذه الحوارات والمناقشات وتبادل الخطابات الإلكترونية التي تجعل مدمنيها باقون ساعات طويلة تأثيراتها الاجتماعية والنفسية الضارة كالاكتئاب والعزلة الاجتماعية وغيرها من السلوكيات الخطيرة..

كتب الضلال بين الرفض والقبول

غازي عبد الحسن إبراهيم
aboab@hotmail.com

البعد الفكري هو الدعامة الأساسية لحركة الإنسان في مسيرة حياته الدنيوية والأخروية، سواء كانت الحركة في مسارها الإيجابي الذي يؤول إلى النعيم، أم السلبي الذي يؤول إلى الجحيم، فالمعرفة أصل كل شئ وحقيقته، وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى هذه المسألة في حديثه مع كميل ابن زياد (رضوان الله تعالى عليه) حيث قال عليه السلام له: (يا كميل، لا تأخذ إلا عنا تكن منا، ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة) [1]. وحتى الثورات ـ بغض النظر عن إيديولوجياتها ورؤاها الكونية ـ هي في الأصل ثورات ثقافية قبل أن تكون ثورات سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، وتقويض تلك الثورات وزعزعة أركانها إنما يتحقق أيضا بتجفيف المنابع الثقافية والفكرية لتلك الثورات من خلال عملية الإستئصال وطرح البديل أو عملية التشويه والتمييع أو غيرها من وسائل القمع والإرهاب الفكري.

ولأهمية البعد الفكري ـ مع التسليم ببقية الأبعاد وأهميتها ـ نرى بأن الغارات الثقافية التي تشن من خلال الكلمات المسموعة أو المقروءة ـ والتي هي أشد ضراوة من الغارات العسكرية ـ قد استهدفت الساحة الثقافية الإسلامية لتدمير العقل الإسلامي وتغريبه وفصله عن هويته القرآنية، وقد أطلق الفقهاء في الكتب الفقهية على هذه الكلمات المقروءة المنطلقة من تلك الغارات الثقافية اسم «كتب الضلال» وأفتوا بحرمة حفظها ونسخها لغير النقض والحجة عليها بلا

خلاف[٢]. والضلال هو ما خالف الحق واقعا[٣]، أما كتب الضلال فهي كل ما وضع لغرض الإضلال وإغواء الناس، وأوجب الضلالة والغواية في الإعتقادات والفروع، فيشمل كتب الفحش والهجو والسخرية، وكتب القصص والحكايات والجرائد المشتملة على الضلالة، وبعض كتب الحكمة والعرفان والسحر والكهانة مما يوجب الضلال[٤]، ويقول السيد مصطفى الخميني في (مستند تحرير الوسيلة ١: ٤١١): (يندرج في المسألة الكتب الفلسفية المشتملة على شبهات عقلية في المبدأ والمعاد، ومغالطات علمية في التوحيد وغيره مما لا يسلم منها إلا الأوحدي، وأما الكتب المضلة عن سواء السبيل والمرغبة في المعاصي والفسق والباعثة إلى المفاسد الأخلاقية، فهي أيضا ربما تكون منها ومنها الصحف والجرائد والمنشورات الرائجة في عصرنا المشتملة على الفواحش) .

ويقول المحقق الأردبيلي في (مجمع الفائدة ٨: ٧٥): (ولعل المراد بكتب الضلال أعم من كتب الأديان المنسوخة والكتب المخالفة للحق أصولا وفروعا، والأحاديث المعلوم كونها موضوعة، لا الأحاديث التي رواها الضعاف لمذهبهم ولفسقهم مع احتمال الصدور. ـ أي رواها الضعاف بسبب مذهبهم الفاسد أو بسبب فسقهم) . وأيضا جاء في كتاب (منهاج الصالحين للسيد السيستاني ٢: ١٤، مسألة: ٣٦): (المقصود بكتب الضلال ما يشتمل على العقائد والآراء الباطلة سواء كانت مخالفة للدين أو المذهب) ، ومنها أيضا الكتب المهاجمة لشيعة أهل بيت العصمة عليهم السلام[٥]. والمقصود من حفظ كتب الضلال هو حفظها في الصدر أو حفظها بمعنى صيانتها عن أسباب التلف[٦]، وقال الشهيد الثاني في (شرح اللمعة ٣: ٢١٤) في معرض حديثه عن حرمة حفظ كتب الضلال ونسخها ودرسها: (وحفظ كتب الضلال عن التلف

أو عن ظهر القلب، ونسخها ودرسها، قراءة ومطالعة ومذاكرة، لغير النقض لها أو الحجة على أهلها بما اشتملت عليه مما يصلح دليلا لإثبات الحق أو نقض الباطل لمن كان من أهلها) . وليس مطلق القراءة ممنوعا، بل القراءة الممنوعة هي الملازمة للأثر الفاسد شخصا أو نوعا[٧]، فلهذا يستثني الفقهاء الحكم بالحرمة فيما لو أمن المكلف من الضلال أو فيما لو كانت هناك مصلحة أهم[٨]، وأما مجرد الإطلاع على مطالبها فليس من الأغراض الصحيحة المجوزة لحفظها لغالب الناس من العوام الذين يُخشى عليهم من الضلال والزلل، فاللازم على أمثالهم التجنب عن الكتب المشتملة على ما يخالف عقائد المسلمين[٩]، ومعنى ذلك أنه لا دليل على حرمة حفظ كتب الضلال من حيث هو، نعم لو ترتب عليه الإضلال حرم من جهة حرمة إضلال الناس عن الحق[١٠]. هذه هي النظرة المجملة لكتب الضلال من الناحية الفقهية، ولا يخفى بأن بعض الكتب التي يُروج لها تحت ذريعة التجديد والتطوير والتنوير المترشحة من الفكر الغربي ومناهجه من خلال ما يُسمى بالأبحاث المعرفية لمنظومة الحداثة الفكرية، إن كان غرضها تمييع الفكر الإسلامي الأصيل وسرقة الإلتزام وإطفاء وهج التدين في النفوس، داخلة في عنوان (كتب الضلال) علما بأن وعي الفرد والمجتمع وتحصنهما بالثقافة القرآنية، وأمنهما من الضلال، قد يرفع الحكم من الحرمة إلى الجواز، بل إلى الوجوب (العيني أو الكفائي) ، كما في مقام الإحتجاج والدفاع عن العقيدة لمن كانت له أهلية لذلك..

على كل حال، هناك اتجاهان متباينان في الوسط الإسلامي مارسا عملية التنظير لتحديد كيفية التعاطي مع تلك الكتب في ظل الصراع الثقافي المحتدم بين مختلف التيارات الفكرية، وكل من الإتجاهين له

مبرراته الموضوعية في نظره.

الإتجاه الأول: يقول أصحاب هذا الاتجاه: إن الحرية الفكرية التي تسمح بطرح الأفكار في ساحة الفكر على مستوى حركة الصراع لا تؤدي ـ دوما ـ إلى الضلال، بل ربما تقوي جانب الحق عندما يكتشف الناس من خلال المقارنة نقاط الضعف التي يختزنها الباطل ونقاط القوة التي تتمثل بالحق، لا سيما إذا كانت الملاحقة سريعة ومتتابعة بحيث لا يطرح فكر إلا ويبادر الفكر الآخر إلى مواجهته، لأن الفكر المضاد قد يتحول من المواقع العلنية إلى المواقع السرية، وبذلك يتحرك هذا اللون من الفكر بعيدا عن الرقابة الفكرية الإسلامية التي قد تستطيع مواجهته بالحوار والمناقشة والرفض العلمي الدقيق، علما بان المواقع السرية للفكر تجذب الكثيرين للانتماء إليها من خلال ما تتضمنه من عنصر الغرابة، بل ربما كان اضطهاد الفكر الآخر وسيلة من وسائل تقويته والتفاف الناس حوله، لأن الاضطهاد يحول الفكر الآخر إلى ضحية إنسانية تكتسب عاطفة الناس الذين يتعاطفون مع الضحية غالبا، إضافة إلى أن حركة الحرية في العالم تجعل الفكر المضطهد شهيدا، ولذلك، إذا أردنا أن نحارب الفكر الآخر فعلينا أن نعطيه الحرية ليأخذ حجمه الطبيعي، بينما إذا أردنا تقويته فعلينا أن نلغي حريته فمحاصرة الكاتب تجعل منه بطل الحرية، ومحاصرة الكتاب تجعل منه كتاب الحريات، ـ ويضيف أصحاب هذا الاتجاه ـ: إن الفكر عندما يلتقي بالفكر الآخر في ساحة حوار أو صراع، فإنه يمنح الفكر غنى، لأنه يفتح له آفاقا جديدة من خلال عناصر الفكر الذي يطرحه الإنسان الآخر بحيث أن الشخص عندما يملك حجة على فكره ويطرح الآخر فكره المضاد أو المختلف، فقد يكتشف بعض الثغرات الموجودة لديه في فكره، مما يجعله يدخل في تفكير جديد لسد هذه الثغرات، أو لمجابهة الفكر الآخر بعناصر جديدة من خلال فكره أو من

خلال ما تحمله حركة الصراع في الساحة.

الاتجاه الثاني: يقول أصحاب هذا الاتجاه: إن الإسلام لا يلتزم بالحرية المطلقة، لأن أي فكر مضاد فهو فكر الباطل الذي يتسع للكفر والضلال، مما يجعل من حرية الدعوة إليه أو نشره وسيلة من وسائل تشجيع الباطل على الامتداد والتوسع في الواقع الإنساني، وهذا أمر مرفوض عقلا، لأن العقل يحكم بوجوب قطع مادة الفساد، ومرفوض شرعا، لأن الله عز وجل قد أنزل رسالته ليحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين، فكيف يسمح للكافرين بتأكيد فكرهم بالدعوة إليه بكل الوسائل المتاحة لهم؟ وإذا كان إعطاء الحرية للباطل من موجبات تحجيمه، وإعطاء الحرية للضلال من موجبات محاصرته، فلماذا شرع الله عز وجل النهي عن المنكر؟ فليعط للمنكر حريته فإنه يحاصره ويحجمه، أليس الباطل والضلال من جملة المنكرات؟ وإذا صحت تلك الدعوى فلا بد أن يصح العكس، فيقال: إذا سُلبت حرية الهدى فإنه ينتشر، وإذا سلبت حرية الحق فإنه ينطلق ويكبر، أما مسألة محاصرة الكاتب والكتاب، فيجيب عليها أصحاب هذا الاتجاه: إذا التزمنا بذلك فإن حكم الفقهاء في حق الكاتب المرتد سليمان رشدي مثلا، تصبح بلا مبرر، بل إن ذلك الحكم أصبح جريمة كبرى، لأنه تسبب بتقوية كتاب (آيات شيطانية) وجعل منه كتاب الحريات، وجعل أيضا من كاتبه المرتد بطل الحرية، علما بأن المرتد الفطري وهو الذي وُلد على الإسلام من أبوين مسلمين أو من أبوين أحدهما مسلم، يجب قتله وتبين منه زوجته وتعتد عدة الوفاة، وتقسم أمواله حال ردته بين ورثته[11]، ويضيف أصحاب هذا الاتجاه: إن المستشرقين هم أول من صاغ القناعة السائدة ـ حاليا ـ في الغرب، والتي يرددها أيضا المثقفون المتغربون، والقائلة بوجود علاقة تناقضية بين الإلتزام

الديني في الإسلام وبين حرية الفكر، ويستدلون على تأخر العالم الإسلامي بهذه العلاقة التي أنتجت سيادة لون واحد من التفكير وغلبة الرقابة التي تمثلها المؤسسة الدينية على ألوان النشاط الفكري، والرقابة الذاتية التي يفرضها الفرد المسلم على نفسه خشية خروجه عن الإطار الإسلامي، وقد مارس الغرب لعبته الثقافية مهاجما الإسلام ومستهدفا إعادة النموذج الأوروبي في الساحة الثقافية الإسلامية، فلا بد من مقاومته وعرقلة مخططاته.

وقبل أن نحدد الاتجاه الصحيح في مسالة التعاطي مع كتب الضلال، لابد أن نشير إلى مفهوم الحرية وحدودها على ضوء النظريتين (الإسلامية والغربية) ولو بشكل إجمالي.

إن الحرية ـ كما يراها السيد الشهيد محمد باقر الصدر في كتابه القيم (المدرسة الإسلامية) ـ في معناها العام هي عبارة عن نفي سيطرة الغير، ويقول في ص٨٥: ((وهذا المعنى هو الذي نستطيع أن نجده في كل من الحضارتين (الإسلامية والرأسمالية) وإن اختلف إطاره وقاعدته الفكرية في كل منهما))، بيد أن الحرية في الحضارة الرأسمالية ولدت من رحم التشكيك والقلق العقلي الذي عصف بكل المسلمات الفكرية فلم تعد هناك حقائق عُليا لا يباح إنكارها مادام الشك يمتد إلى كل المجالات. ويعلق الشهيد الصدر في ص٨٨ على تلك المرحلة التي عاشها العقل الغربي حينما كبل بديهياته بسلاسل التشكيك: (وهكذا ألقى فجأة وبيد مرعوبة كل بديهياته بالأمس، وأخذ يحاول الخلاص من الإطار الذي عاش فيه آلاف السنين) ، بينما الحرية في الحضارة الإسلامية ترتكز على يقين ثابت ألا وهو الإيمان بالله سبحانه وتعالى والإقرار له بالعبودية المخلصة. وأيضا الحرية في الحضارة الغربية عبارة عن حق طبيعي للإنسان، له أن يتنازل عنه متى

شاء، حيث أن كل إنسان هو في حقيقته مالك لنفسه، ويستطيع أن يتصرف فيها كما يحلو له، دون أن يخضع لأية سلطة خارجية، وهي ليست كذلك في الحضارة الإسلامية، حيث أن الحرية في الإسلام ترتبط ارتباطا وثيقا بالعبودية لله سبحانه وتعالى، فلابد للإنسان أن يتعاطى مع الحرية في الإطار الذي ينسجم مع تلك العبودية، ونتيجة لهذا الفهم الخاطئ لمفهوم الحرية في الحضارة الغربية، نرى بأن الإنسان الغربي ـ كما يقول الشهيد الصدر في ص٨٩: (قد كفر عمليا بالنظرة الدينية إلى الحياة والكون وصلتها الروحية بالخالق وما ينتظر الإنسان من ثواب وعقاب، وعادت الحياة في نظره فرصة للظفر بأكبر نصيب ممكن من اللذة والمتعة المادية) . وقد قسم الشهيد الصدر في ص٩٣ الحرية الديمقراطية الرأسمالية إلى قسمين:

القسم الأول: الحرية في المجال الشخصي للإنسان، وهي ما تطلق عليه الديمقراطية اسم (الحرية الشخصية) .

القسم الثاني: الحرية في المجال الاجتماعي، وهي تشمل الحريات الفكرية والسياسية والإقتصادية. والحرية الشخصية تعالج سلوك الإنسان بوصفه فردا، سواء كان يعيش بصورة مستقلة أو جزءا من مجتمع، أما الحرية في المجال الاجتماعي فهي تعالج الإنسان بوصفه فردا يعيش في ضمن جماعة، فتسمح له بالإعلان عن أفكاره للآخرين كما يحلو له، وتمنحه الحق في تقرير نوع السلطة الحاكمة، وتفتح أمامه السبيل لمختلف ألوان النشاط الإقتصادي تبعا لقدرته وهواه. ويضيف الشهيد الصدر في ص٩٤: (حرصت الحضارة الغربية الحديثة على توفير أكبر نصيب ممكن من الحرية لكل فرد في سلوكه الخاص وهو القدر الذي لا يتعارض مع حريات الآخرين، فلا تنتهي حرية كل فرد إلا من حيث تبدأ حريات الأفراد الآخرين، وليس من المهم لديها

طريقة استعمالهم لها، والنتائج التي تتمخض عنها، فالمخمور مثلا لا حرج عليه أن يشرب ما شاء من الخمر، ويضحي بآخر ذرة من وعيه وإدراكه، لأن من حقه أن يتمتع بهذه الحرية في سلوكه الخاص ما لم يتعرض هذا المخمور طريق الآخرين أو يصبح خطرا على حياتهم بوجه من الوجوه) ، بينما الخمر في الإسلام يحرم شربه بالضرورة من الدين، بحيث يُحكم بكفر مستحله مع التفاته إلى أن لازمه إنكار رسالة النبي ﷺ في الجملة بتكذيبه ﷺ في تبليغ حرمته عن الله تعالى، وأما شربه من دون استحلاله فهو فسق[١٢]. وبعدها يتعرض الشهيد الصدر في ص١٠٥ للحرية الفكرية ويقول: (الحرية الفكرية في الحضارة الغربية تعني السماح لأي فرد أن يفكر ويعلن عن أفكاره ويدعو إليها كما يشاء، على أن لا يمس فكرة الحرية والأسس التي ترتكز عليها، ولهذا تسعى المجتمعات الديمقراطية إلى مناوءة الأفكار الفاشستية والتحديد من حريتها أو القضاء عليها، لأن هذه الأفكار تحارب نفس الأفكار الأساسية والقاعدة الفكرية التي تقوم عليها فكرة الحرية والأسس الديمقراطية. والإسلام يختلف عن الديمقراطية الرأسمالية في هذا الموقف، نتيجة لاختلافه عنها في طبيعة القاعدة الفكرية التي يتبناها، وهي التوحيد وربط الكون برب واحد، فهو يسمح للفكر الإنساني أن ينطلق ويعلن عن نفسه، ما لم يتمرد على قاعدته الفكرية التي هي الأساس الحقيقي لتوفير الحرية للإنسان في نظر الإسلام ومنحه شخصيته الحرة الكريمة التي لا تذوب أمام الشهوات، ولا تركع بين يدي الأصنام) ، نعم، قد يتوقف الفكر حينما لا يمتلك أدوات المعرفة التي يتحرك من خلالها، كالتفكر في ذات الله عز وجل المنهي عنه في النصوص الدينية (تفكروا في خلق الله، ولا تتفكروا في الله فتهلكوا) [١٣].

والنتيجة التي يستخلصها الشهيد الصدر هي (أن الحضارة الغربية

والحضارة الإسلامية تسمحان بالحرية الفكرية بالدرجة التي لا ينجم عنها خطر على القاعدة الأساسية، وبالتالي على الحرية نفسها) .

وهناك نماذج كثيرة توضح عملية إقصاء الفكر الغربي للفكر المناوئ له، سواء كان شيوعيا أم إسلاميا، فهذا كتاب (الحرب الباردة الثقافية) من تأليف فرانسيس ستونز والذي يتناول فيه المؤلف دور الإستخبارات المركزية الأمريكية و منظمة الحرية الثقافية التابعة لها في عالم الفنون والآداب أبان الحرب الثقافية الباردة بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية، وذلك باستخدام الثقافة كوسيلة لتغيير أذهان الشعوب، وتشجيعها على كراهية الشيوعية وتقبل النموذج الرأسمالي. وأيضا هناك كتاب (عولمة الكراهية) من تأليف أحمد طحان والذي يبين فيه المؤلف الحرب الثقافية التي شنها الغرب على الحضارة الإسلامية لإلغائها، إضافة إلى أن الواقع المعاصر في شتى مجالاته يحكي عن قصة إلغاء الغرب للآخر بحروفها التي يقرؤها فاقد البصيرة فضلا عن البصر، والتي نسجت فصولها تحت ذريعة (الحرب على الإرهاب) .

بعد هذه الإطلالة العابرة على مفهوم الحرية وحدودها في الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، يمكننا أن نقول بأن الاتجاه الصحيح في مسألة التعاطي مع كتب الضلال يختلف تبعا لاختلاف طبيعة القوة والمواقع والآليات التي يمتلكها الإسلام في سيطرته على الجو العام وأيضا يختلف باختلاف الساحات التي تُتداول فيها تلك الكتب، فلا مشكلة حينما يمتلك الإسلام عناصر القوة، فتتحرك تلك الأفكار في فضاء الساحات الثقافية والفكرية على فرض وجود فئة متخصصة كفوءة من المثقفين والمفكرين الإسلاميين المخلصين، والمتصدين لكشف الحقائق ورد الشبهات في إطار المساجلة الفكرية والثقافية مع

الآخر على ضوء المنهج العلمي الذي يتفاعل مع الحقيقة. أما في الساحات العامة التي تفتقر إلى العناصر الثقافية والطاقات الفكرية الفاعلة والملتزمة، فلا يجوز السماح لكتب الضلال أن تتحرك في تلك الساحات، ولا يجوز المساهمة في ترويجها تحت ذريعة حرية الفكر أو غيرها من العناوين، حيث أن السماح لهذا الفكر بالانطلاق في ظل تلك الظروف قد يربك الواقع ويهدم الأسس الإيمانية، ويعكر صفو الماء في الفطرة السليمة، فلابد حينئذ من رصدها وملاحقتها، باعتبارها (غدة سرطانية) يجب اجتثاثها من جسد الساحات العامة، فلا يجوز شراؤها وإمساكها وحفظها، بل يجب إتلافها[١٤]. وقد انطلق هذا الأسلوب الوقائي من أجل حفظ العقيدة وصيانة المجتمع عن الانحراف العقائدي والفساد الفكري، لئلا يختطف سراق العقيدة هذه الثروة الإنسانية التي لا نظير لها[١٥]. وبإمكاننا أن نستخلص هذا الاتجاه أيضا من حركة الشهيد مطهري الفكرية، حيث أن مطهري على الرغم من كونه فقيها ومفكرا إسلاميا، كان أستاذا جامعيا لمدة نيفت على العشرين عاما في (كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية) ، وقد انتبه قبل بضع سنوات من انتصار الثورة الإسلامية إلى أن أحد الأساتذة كان يُروج في (كلية الإلهيات) للفلسفة المادية، ويقوم بالدعاية للمادية الديالكتيكية بين الطلاب، ويتحرك ضد الفلسفة الإسلامية، أثار تصرف ذلك الأستاذ ردود فعل الطلبة، فتأزمت الأوضاع حتى كادت تخل بالجو الدراسي، فما كان من الشهيد مطهري . وهو يرأس قسم الفلسفة في الكلية . إلا أن بعث برسالة رسمية إلى الهيئة العلمية طالبا فيها تأسيس كرسي للمادية الديالكتيكية في تلك الكلية، وأكد على ضرورة أن يضطلع أستاذ ملم ومؤمن بالمادية الديالكتيكية بتدريس المادة[١٦] ويضيف الشهيد مطهري في تعليقه على هذه الواقعة: (هذا هو الأسلوب الصحيح لمواجهة المسألة، أما إذا أراد شخص أن يؤثر على

الطلبة السذج وضئيلي الثقافة بالدعاية بينهم خفية وعن طريق الإغواء والخداع، فهذا لا يجوز، وقد اقترحت على ذلك الأستاذ مرارا بأن يبادلني آراءه بدلا من عرضها على فئة الطلبة، وقلت له دعنا نتبادل الآراء أمام الطلبة أنفسهم) ، فمن الملاحظ في هذه الواقعة أن الشهيد مطهري قد فسح المجال لذلك الأستاذ الذي يؤمن بالفكر المادي في إطار المنهج العلمي، ويكون الشهيد مطهري نفسه محاورا له، وفي الوقت نفسه يرفض الشهيد مطهري أن يروج ذلك الأستاذ فكره المادي بين أوساط الطلبة، ويحذر من خطورة الثقافات الأجنبية على الإسلام حيث قال: (إني أحذر قادة النهضة العظماء وأتم الحجة عليهم بيني وبين الله عز وجل، بأن إشاعة ونشر الثقافات الأجنبية باسم الفكر الإسلامي ومماركته الإسلامية، سواء كان ذلك عن سوء قصد أم لا، خطر يهدد كيان الإسلام) [١٧] .

ختاما، وبعد أن اتضحت ملامح هذا الاتجاه ومعالمه، أود أن أشير إلى ضرورة الارتقاء والتكامل الثقافي والفكري الإسلامي الأصيل في أوساط شرائح المجتمع والساحات العامة، من خلال قيام (علماء الدين والمثقفين والمفكرين الملتزمين بالنهج الإسلامي الأصيل) بدورهم التبليغي الهادف، من أجل تحصين ثغور الإسلام العقائدية والأخلاقية والسلوكية، حيث أن الساحات العامة لا تتحمل الفراغ العقائدي والأخلاقي والسلوكي، وبذلك يتخندق الجميع في خندق واحد لتحصيل شرف الدفاع عن الإسلام وخدمته، وذاك شرف ليس فوقه شرف.

❖❖❖

الهوامش:

١ ـ ميزان الحكمة، الريشهري، الحديث: ٧٤٢١.

٢ ـ منتهى المطلب، العلامة الحلي ٢: ١٠١٣ .

٣ ـ مستند الشيعة، النراقي ١٤: ١٥٧ .

٤ ـ مصباح الفقاهة، الخوئي ١: ٢٥٤ .

٥ ـ هداية العباد، الكلبيكاني ١: ٣٤١.

٦ ـ جامع المقاصد، المحقق الكركي ٤: ٢٦ .

٧ ـ مستند تحرير الوسيلة، السيد مصطفى الخميني: ٤١١ .

٨ ـ منهاج الصالحين، الخوئي ٢: ٩، مسألة: ٣٣.

٩ ـ تحرير الوسيلة، روح الله الخميني ١: ٤٩٨، مسألة: ١٥ .

١٠ ـ فقه الصادق عليه السلام، الروحاني ١٤: ٢٦٦ .

١١ ـ تكملة منهاج الصالحين، الخوئي: ٥٣ .

١٢ ـ منهاج الصالحين، السيستاني ٣: ٣٠٣.

١٣ ـ ميزان الحكمة، الريشهري ٣: ١٨٩٢ .

١٤ ـ تحرير الوسيلة، روح الله الخميني ١: ٤٩٨ .

١٥ ـ مجموعة الرسائل، لطف الله الصافي ١: ٢٨٤ .

١٦ ـ حول الثورة الإسلامية، مرتضى مطهري: ١٢ .

١٧ ـ رمز نجاح الشهيد مطهري، علي نصر آبادي: ٢١٩ .

البعد الفكري
هو الدعامة الأساسية
لحركة الإنسان في مسيرة حياته
الدنيوية والأخروية

سوء الظن..
يمحو الدين ويثير الفتن

جاسم بدر عبدالله المطوع
alzahrawi@hotmail.com

في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إذا اتهم المؤمن أخاه انماث الإيمان من قلبه كما ينماث الملح في الماء) [١]، وعنه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءا وأنت تجد لها في الخير محملا.[٢]

لا ريب أن سوء الظن بالمؤمنين مما شدد الشارع المقدس في النهي عنه، قال الله عز وجل في محكم كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: (من أساء بأخيه الظن فقد أساء بربه إن الله تعالى يقول: ﴿اجتنبوا كثيرا من الظن﴾) [٤]، وعنه صلى الله عليه وآله: (إياكم والظن، فإن الظن أكذب الكذب) [٥].

وليس النهي عن هذا الخلق المذموم إلا لما له من آثار سلبية خطيرة على المجتمع الإسلامي، تهدده بالتمزق والتشرذم مما يؤدي بدوره إلى ضعف المجتمع عن مواجهة الأخطار المحدقة به من الخارج، فإساءة الظن بالأخ المؤمن تبعث على عدم الثقة به وترك الاعتماد عليه والتواصل معه، ومما لا شك فيه أن تعدد هذه الحالة في

ما بين خلايا المجتمع مرض يبعث على الشلل في أداء أجهزة المجتمع لوظائفها المنوطة بها، فتتوقف بالتالي حركة المجتمع نحو الكمال المنشود.

وهنا نقاط يثيرها الموضوع:

١. سوء الظن منشأ لأمراض أخرى خطيرة:

القارئ للآية السابقة الذكر يلتفت إضافة للأمر باجتناب الظن إلى النهي عن التجسس والغيبة، وهذه الأمور تكررت في بعض الأحاديث كذلك[٦]، وهي أمور واضح ضررها على المجتمع الإسلامي وعادة ما تلازم سوء الظن، فمن يسئ الظن بأخيه قد تراه يتتبع عثراته ويبثها من خلف ظهره كنتيجة طبيعية لما يحمله في نفسه على أخيه.

٢. لا حقيقة وراء الظن:

في أغلب الأحيان وبعد مدة يتكشف للمرء أن ما كان يظن بأخيه ويتهمه به ليس بواقع وأنه كان محض توهم واشتباه، مما يؤدي إلى الافتراء والبهتان والعياذ بالله، ولعل هذا المعنى هو ما يقصده الرسول صلى الله عليه وآله بقوله: أكذب الكذب. ومن غرر حكم أمير المؤمنين عليه السلام: (من ساءت ظنونه اعتقد الخيانة بمن لا يخونه) [٧].

٣. موجبات سوء الظن:

ويوجب سوءَ الظن أمورٌ إذا وفق الإنسان لمراقبتها والحذر منها جنَّب نفسه هذه الآفة: ومنها:

١) إتباع هوى النفس وترك اليقين، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إياك أن تغلبك نفسك على ما تظن ولا تغلبها على ما تستيقن، فإن ذلك من أعظم الشر) [٨].

٢) سماع الأقاويل والشائعات، فمن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام: (أيها الناس، من عرف من أخيه وثيقة دين وسداد طريق فلا يسمعن فيه

أقاويل الرجال. أما إنه قد يرمي الرامي وتخطئ السهام ويحيل الكلام، وباطل ذلك يبور والله سميع وشهيد. أما إنه ليس بين الحق والباطل إلا أربع أصابع . فسئل عليه السلام عن معنى قوله هذا، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه . ثم قال: الباطل أن تقول سمعت والحق أن تقول رأيت) [٩].

٣) سوء السريرة والطبع، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: (الرجل السوء لا يظن بأحد خيرا، لأنه لا يراه إلا بوصف نفسه) [١٠].

٤) سوء الزمان، فعن الكاظم عليه السلام: (إذا كان الجور أغلب من الحق لم يحل لأحد أن يظن بأحد خيرا حتى يعرف ذلك منه) [١١]. ولنا هنا وقفة يأتي الكلام عنها في النقطة الخامسة.

ومع ذلك فقد حذر الشارع الأقدس من أن يضع المرء نفسه في موارد التهمة، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: (مجالسة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار) [١٢].

وقال عليه السلام: (من دخل مداخل السوء اتهم) [١٣].

وعنه عليه السلام: (من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء به الظن) [١٤].

٤. آثار سوء الظن:

مما لا شك فيه أن لسوء الظن الكثير من الآثار السلبية، ونحن هنا نشير إلى بعض الروايات المختصرة في المقام، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: (آفة الدين سوء الظن) [١٥]. وعنه عليه السلام: (لا دين لمسيء الظن. لا إيمان مع سوء الظن. سوء الظن يفسد الأمور ويبعث على الشرور. سوء الظن بمن لا يخون من اللؤم. سوء الظن بالمحسن شر الإثم وأقبح الظلم. إياك أن تسئ الظن، فإن سوء الظن يفسد العبادة. شر الناس من لا يثق بأحد لسوء ظنه، ولا يثق به أحد لسوء

فعله. ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن. من غلب عليه سوء الظن لم يترك بينه وبين خليل صلحا. من لم يحسن ظنه استوحش من كل أحد) [١٦].

وحسبك بفساد العبادة والدين أثرا لسوء الظن عن باقي ما ذكرته الروايات وكل أثر أعظم من سابقه.

٥. سوء الزمان وسوء الظن:

يبرر الكثير سوء ظنه بإخوانه بأن هذا الزمان زمان سوء وفي مثله فسوء الظن له ما يبرره، ويستشهد لكلامه بما جاء عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، كقول أمير المؤمنين عليه السلام: (إذا استولى الصلاح على الزمان وأهله ثم أساء رجل الظن برجل لم تظهر منه خزية فقد ظلم. وإذا استولى الفساد على الزمان وأهله فأحسن رجل الظن برجل فقد غرر) [١٧]. وظاهر الحديث أن عدم سوء الظن في زمان مثل زماننا هذا ـ الذي يصفه الكثير بأنه زمان سوء ـ غرر حذر منه الإمام.

ولكن ربما يغيب عنا قول الإمام الهادي عليه السلام: (إذا كان زمانٌ، العدل فيه أغلب من الجور فحرام أن يظن بأحد سوءا حتى يعلم ذلك منه وإذا كان زمان، الجور أغلب فيه من العدل فليس لأحد أن يظن بأحد خيرا ما لم يعلم ذلك منه) [١٨].

فالميزان هو العلم لا الظن، فما دمتَ في زمن سوء وتعلم من فلان الخير والصلاح فلا يحق لك أن تظن به السوء والعكس صحيح ففي زمان العدل والحق لا يحق لك أن تظن خيرا بمن علمت منه السوء، ومن المهم جدا أن ننتبه لمقدمات العلم بان لا يشوبها الظن والوهم، وإلا فالمشكلة ما زالت على حالها.

٦. أفعال الغير قد تكون ظاهرة الفساد:

من المهم بمكان أن يشار إلى هذه الظاهرة، وهي أن البعض يتصور بمجرد رؤيته لتصرف معين من شخص ما أو سماعه لمقولة منه أنه توفر على العلم الكافي لوصمه بالخلل السلوكي أو النقص العلمي والمعرفي، ويغيب عنه أن هذا هو بعينه سوء الظن، فواضح جدا أن ما تنهى عنه الأحاديث هو هذا، فلذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (المؤمن لا يغش أخاه ولا يخونه ولا يخذله ولا يتهمه، ولا يقول له: أنا منك برئ. أطلب لأخيك عذرا، فان لم تجد له عذرا فالتمس له عذرا) [١٩]. وعنه عليه السلام: (ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءا وأنت تجد لها في الخير محملا) [٢٠] فلا مسوغ لطلب العذر إلا إذا كان الظاهر باطلا فمن ظاهره الصلاح خارج تخصصا ولا يحتاج لأن يعذر فلا يعذر إلا المخطئ، والحديث الثاني عندما يقول (وأنت تجد لها في الخير محملا) يشير إلى وجود محمل السوء وأنه أظهر وهو بالتالي أسهل وأيسر ويحتاج خلافه إلى الالتفات إليه.

٧. مُسيء الظن غير ملام!!

يتعذر الكثير بأنه غير ملام على سوء ظنه وذلك لأن الآخرين قد وضعوا أنفسهم موضع التهمة وقد مر الحديث (من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء به الظن)، نقول لهم أن هذه الأحاديث تريد النهي عن تعريض النفس للتهمة، ولا تريد أن تبيح للناس سوء الظن ببعضهم، والفرق بين الأمرين واضح لا غبار عليه، وبالتالي فلا عذر لمسيء الظن.

٨. حسنات لحسن الظن:

ولا شك أن لحسن الظن حسنات نذكر بعض ما ذكرته الروايات منها:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: (حسن الظن من أحسن الشيم وأفضل القسم. حسن الظن من أفضل السجايا وأجزل العطايا. حسن الظن راحة القلب وسلامة الدين. حسن الظن يخفف الهم، وينجي من تقلد الإثم. من حسن ظنه بالناس حاز منهم المحبة. أفضل الورع حسن الظن) [٢١].

٩. ختام:

من الواضح أن هذه العادة السيئة قد انتشرت في خفاء كالوباء في الجسد الإسلامي، ولا يُدَّعى أن التخلص منها أمر هين، ولكن ـ مع غض النظر عن نهي الشارع الأقدس عنها ـ فإن ترك هذه العادة يترتب عليه آثار إيجابية واسعة في رقي المجتمع وتطوره، فكيف وهذا الشارع المبارك ينهى عنها ويشدد في ذلك، فنسأل الله عز وجل بحق محمد وآله الكرام أن يعيننا على أنفسنا فنتخلص مما في كوامن أنفسنا من أمراض تعيق مسير التكامل فنلتحق بالركب المحمدي لنصل إلى الهدف النهائي الذي يريده لنا. والحمد لله رب العالمين.

❖❖❖

الهوامش:

١ ـ الكافي، الكليني، كتاب الإيمان والكفر، باب التهمة وسوء الظن ٢: ٣٦١.
٢ ـ المصدر السابق ٢: ٣٦٢.
٣ ـ الحجرات: ١٢.
٤ ـ ميزان الحكمة ٢: ١٧٨٦.
٥ ـ ميزان الحكمة ٢: ١٧٨٥.
٦ ـ ميزان الحكمة، ج٢، باب الظن.
٧ ـ ميزان الحكمة ٢: ١٧٨٧.
٨ ـ ميزان الحكمة ٢: ١٧٨٥.
٩ ـ نهج لبلاغة، ج٢ ـ خطب الإمام علي عليه السلام: ٢٤.
١٠ ـ ميزان الحكمة ٢: ١٧٨٦.

١١ ـ الكافي، الشيخ الكليني ٥: ٢٩٨.

١٢ ـ عيون أخبار الرضا ١: ٥٨، الأمالي، الصدوق: ٥٣١.

١٣ ـ نهج البلاغة ٤: ٨١.

١٤ ـ المصدر السابق ٤: ٤١.

١٥ ـ ميزان الحكمة ١: ٨٤.

١٦ ـ ميزان الحكمة ٢: ١٧٨٦.

١٧ ـ نهج البلاغة ٤: ٢٧.

١٨ ـ ميزان الحكمة ٢: ١٧٨٧، وأحاديث أخرى بنفس المعنى.

١٩ ـ الخصال، الصدوق: ٦٢٢.

٢٠ ـ الكافي، الكليني، كتاب الإيمان والكفر، باب التهمة وسوء الظن ٢: ٣٦٢.

٢١ ـ ميزان الحكمة ٢: ١٧٨٤ـ ١٧٨٥.

شر الناس:

من لا يثق بأحد لسوء ظنه،

ولا يثق به أحد لسوء فعله.

عن أمير المؤمنين (عليه السلام)

خير الزاد للمسيرة التكاملية

حسين فؤاد المرزوق

Adel٨٨١@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الكتاب هدىً للمتقين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم وآله الطاهرين.

مفترق الطريق:

قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[١]

لما كانت هذه النشأة الدنيوية هي نشأة امتحان وابتلاء إلهي كانت هناك عوائق وموانع تعوق الإنسان عن الوصول إلى هدفه وبغيته وتمنعه من الوصول إلى كماله المنشود، من هنا كان على مفترق الطريق قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٢] فبعد هداية الله للإنسان وإيضاح الطريق له يدعو الإنسان ربه مرات عديدة في صلواته اليومية: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾[٣] لأنه إذا لم يوفق لسلوك هذا الصراط فهو ضال لا محالة ولا تزيده سرعة المشي في غير الصراط المستقيم إلا بعدا عن الهدف[٤]، ولكن كيف يمكن الثبات على الصراط وعدم العدول عنه مع وجود كل هذه الموانع والعوائق؟ فالإنسان يدرك حتماً أنه لو فشل في الإمتحان وانهزم في ساحة الجهاد الأكبر ففشله هو الفشل الأكبر وهزيمته هي الهزيمة الحقيقية فإن السالك اذا تعرض للفشل في محاربة النفس الأمارة[٥] وانجر وراء ما تهواه نفسه وغاصت قدماه في وحل المعاصي والرذائل، فإنه يسقط في أسفل سافلين وقد لا يمكنه جبران خسارته بعدها. من هنا كان لابد من زاد وذخيرة يستطيع الإنسان بفضلها من التحصن والوقاية في سفره

الطويل من المخاطر قال جل من قائل: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[٦]

ضرورة التقوى:

الآية المباركة بينت بأن التقوى هي زاد مسيرة الإنسان في هذه النشأة للوصول الى الهدف النهائي والغاية الأخيرة وهو الوصول إلى لقاء الله والقرب، منه قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[٧]، والقرآن الكريم يعبر عن أولئك الذين كفروا بهذا الهدف أنهم الأخسرون أعمالا، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[٨]، فإذا استطاع الإنسان أن يصل إلى مقام القرب واللقاء، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال العبادة والتقوى فقد انتهى إلى الفوز العظيم والفلاح الحقيقي: ﴿وَاتَّقُواْ الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٩]

تعريف التقوى:

التقوى لغة: [في قواميس اللغة العربية] : من الوقاية: وهي حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره. والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف.[١٠]

التقوى إصطلاحا: [في إصطلاح علماء الأخلاق]: قوة داخلية وقدرة ضبط نفسية تتأتى للنفس، فتجعل النفس قوية إلى درجة تصبح معها قادرة على طاعة الأوامر، قادرة إلى درجة تستطيع معها مقاومة رغبات النفس وأهوائها غير المشروعة.[١١]

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سئل عن تفسير التقوى فقال: (ان لا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك) [١٢]

حقيقة التقوى:

قال تعالى:﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ الله فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[١٣]

إن إضافة التقوى إلى القلوب تفيد أن حقيقة التقوى والإجتناب والاحتراز عن محارم الله عز وجل وغضبه إنما هو أمر معنوي يقوم بالقلب والنفس والروح المدبرة للبدن والجوارح، فليست التقوى قائمة بالأعمال الجوارحية وإن كانت من لوازمها، لأن الأعمال الجوارحية قد تشترك في بعض مصاديقها بين الطاعة والعصيان، فإن القتل في الجناية عصيان ولكن القتل في القصاص طاعة، فقتل النفس تارة يكون معصية وتارة يكون طاعة، والصلاة رياءً عصيان بينما الصلاة قربة إلى الله طاعة، فالصلاة إذا قد يؤثم على فعلها الإنسان وقد يثاب، وإنما كان أحد هذه الأعمال طيبا ًصالحا دون الآخر، إنما هو بإعتبار أمر معنوي وباطني، وهو تقوى القلب وعصيانه.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (لا يغرنك بكاؤهم، إنما التقوى في القلب) .[١٤]

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: (اجعلوا قلوبكم بيوتا ًللتقوى، ولا تجعلوا قلوبكم مأوى ً للشهوات) .[١٥]

مراتب التقوى وطرق تحصيلها:

قال تعالى: ﴿اتَّقُواْ الله حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[١٦]

يمكننا تقسيم مراتب التقوى بحسب درجات عبودية الإنسان لربه فهو إما عابد لخوف أو رجاء أو عابد حبا ًفي الله سبحانه وتعالى[١٧]. ولكن مع بقاء مفهوم التقوى على معناه لأن للتقوى مفهوما واحدا ًولكن في موارد مختلفة فإن التقوى من يوم القيامة أو النار وغيرها ليست ـ في الحقيقة ـ غير التقوى من الله وترجع كلها في النهاية إلى هذا المعنى، فالله سبحانه هو الذي جعل يوم القيامة للحساب، وهو

الذي أعد النار والعذاب لعقاب العاصين. فللتقوى إذن مفهوم واحد في جميع المراتب ولكن بلحاظات مختلفة نسبت تارة الى وسائط مختلفة وتارة إلى المبدأ الأصلي وهو (الله) .

بناءً على هذا فللتقوى مراتب:

١ـ التقوى الناتجة من الخوف والرجاء: فالبعض يغلب على نفسه الخوف، وكلما فكر فيما أوعد الله الظالمين والذين ارتكبو المعاصي والذنوب من أنواع العذاب الذي أعد لهم زاد في نفسه خوفا ولفرائصه ارتداعا ًويساق بذلك إلى عبادته تعالى خوفا من عذابه، فهو يتقي عذاب الله بتركه لما حرم الله، والبعض الآخر يغلب على نفسه الرجاء، وكلما فكر فيما وعده الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات من النعمة والكرامة وحسن العاقبة، زاد رجاء وبالغ في التقوى والتزام الأعمال الصالحات طمعا ً في المغفرة و الجنة.

إذا فطريق تحصيل هذه المرتبة من التقوى هي الغايات الأخروية، وأصحاب هذه المرتبة هم المتشرعة الذين يتجنبون عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك.

٢ـ التقوى الناتجة من الحب الإلهي: وهذه الطائفة هم العلماء بالله لا يعبدون الله خوفا ً من عقابه ولا طمعا ً في ثوابه، وإنما يعبدونه لأنه أهل للعبادة، وذلك لأنهم عرفوه بما يليق به من الأسماء الحسنى والصفات العليا، فعلموا أنه ربهم وليسوا إلا عباد الله فحسب، فهم يعبدون الله ولا يريدون في شيء من أعمالهم فعلا ً أو تركا ً إلا وجهه سبحانه، ولا يلتفتون فيها إلى عقاب يخوفهم، ولا إلى ثواب يرجيهم.[١٨] وإنما نتج ذلك من حبهم لله وترسيخ الإيمان في قلوبهم. وفي هذه المرتبة من التقوى يتوقى العاشق والمحب كل ما يشغل القلب عن الحق وكل ما يلهيه عن محبوبه فلا يقوم بعمل ولا يترك فعل إلا ويرى

الله قبله وبعده وفيه.[١٩]

ولا يخفى أن على المتقي في هذه المراتب معرفة أوامر الله ونواهيه فلابد من معرفة الأحكام الشرعية وما يرضي الله وما يسخطه، وإلا كيف يتقي ما لا يعرف؟

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (تمام التقوى أن تتعلم ما جهلت وتعمل بما علمت) .

وفي الحديث: (لا تصح عبادة بدون معرفة) .

وسئل الإمام الصادق عليه السلام: مالنا ندعو لا يستجاب لنا؟ فقال عليه السلام: (لأنكم تدعون من لا تعرفونه) .[٢٠]

فإن معرفة الله تورث الخوف منه، وبالنتيجة يسعى لتحصيل ومعرفة أوامره ليطيعه ونواهيه ليتجنبها ولا يتعدى حدوده.

ترسيخ ملكة التقوى وتثبيتها في القلب:

(كتابة قلم العقل على صفحة القلب) .

إن أهل التقوى في مراحلهم الأولى يجاهدون أنفسهم لأجل الالتزام بالشريعة، فإذا أمرهم الله بشيء لا يرون فيه مصلحتهم العاجلة يجاهدون هذه النفس حتى تمتثل للأمر، وإذا نهاهم الله عن شيء فإنهم يشدون على أنفسهم لكي لا يقعوا في المخالفة، ولكنهم إذا عبروا مرحلة المجاهدة هذه بالمداومة على الالتزام ترسخ في أنفسهم ملكة التقوى ويصبح الامتثال والأداء والانتهاء أمراً طبيعياً فيهم.

وإن الطريق الوحيد لذلك هو سريان الاعتقاد العقلي إلى قلب الإنسان فالجوارح تأتمر بإمرة القلب (فالقلب سلطانها) وعندما يدخل القلب تحت سلطان الحق من خلال الاعتقاد الصحيح، فإن أثر هذا التوحيد يسري إلى الظاهر فتصبح الأعضاء والجوارح منقادة خاشعة. وهذا الذي يعبرون عنه بالورع أي شدة التقوى. فالمطلوب هو

العمل بمقتضى التوحيد والسعي الحثيث لتحصيل مرضاة الله، عندها تثبت هذه الملكة ويزول غبار الغفلة عن قلب الإنسان.

ولكن وللأسف الشديد بالرغم من التأكيد على العقائد ودفاعنا عنها بالدليل نجد قلوبنا غافلة نائمة، وإلا لما زلت قدمنا مرة ولما انحرفنا عن الجادة، وهذا كله دليل على ان هذه الأمور لم تتجذر في النفس. ولكن أهل البيت كانوا أحرص الناس بالحفاظ على قلوب شيعتهم فوصفوا لنا الدواء ومنه التذكير بالموت والذي يرسخ ويذكر النفس بالموت وبالتالي لا يغفل قلب الإنسان عن هذه الحقيقة أو بالصوم الذي هو ترويض وكبح لجماح النفس.. وهذا كله لترسيخ الاعتقاد القلبي.

المتّقي.. هو من صان نفسه من موج المعاصي الجارف وهو في غورها

التقوى والانزواء:

قد يخطر على ذهن البعض بأن التقوى تتنافى مع العمل الاجتماعي، بدعوى أن المحافظة على التقوى مع المشاركة في الأمور الاجتماعية أمر صعب بل ومتعذر، لأن نفس الإنسان ميالة إلى المعصية بالطبع فسينجر بالضرورة إلى المعاصي والرذائل ومغريات الساحة إذا خرج من صومعته ومحرابه، فكلما كان الإنسان أكثر انزواء كلما كان أشد تقوى.

ولكن هذا القول وهذه الفكرة في غاية الخطورة وتؤدي في أكثر حالتها إلى التصوف واللامبالاة.

ولو تأملنا قليلاً في تعريف التقوى سنجد بأن التقوى قيمة مثبتة

لا منفية فالتقوى ليست ترك المعصية وإنما هي عبارة عن قوة داخلية تضبط النفس، فهي لجام يلجم مركب النفس ويسيطر من خلاله على أهوائها ورغباتها، فالتقوى إذن للإنسان بمثابة اللباس والمنزل الذي يحفظ الإنسان من الحوادث والبرد والحر. قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾[٢١] وترك الذنب ليس هو التقوى نفسها لكي ينزوي الإنسان في محرابه ويقول أنا اتقيت الذنب، بل إن ترك الذنب من لوازم التقوى فنستطيع من هنا القول بأن الأخبار التي تشير إلى أن التقوى بمعنى ترك الذنب، كان ورودها على أساس كونه لازماً لها لا نفسها.

إذن فلا يوجد في الإسلام رهبانية وانزواء، فالإسلام يطلب من الإنسان المشاركة في القضايا الاجتماعية وقبول المسؤوليات ولكن مع حفاظه على التقوى بحيث لا ينجر بحبل المعاصي والشهوات.

ونحن نعرف بالضرورة أن الناجح في الامتحان هو الذي دخل الامتحان ونجح وليس الناجح من لم يقدم الامتحان أصلاً فلا يستحق هذا الأخير المدح ولا يسمى متقياً، إذن فالمتقي هو من صان نفسه من موج المعاصي الجارف وهو في غورها وإلا لما استحق المدح في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ الله أَتْقَاكُمْ﴾[٢٢]

وبذلك وصفهم إمام المتقين وسيد الوصين عليه السلام قال: (فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين، وحزماً في لين، وإيمانا في يقين وحرصا في علم.... وخشوعا في عبادة، وتجملا في فاقة، وصبرا في شدة، وطلبا في حلال، ونشاطا في هدى، وتحرجا عن طمع، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل.... نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة، أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه، بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة، ليس تباعده بكبر وظمة ولا دنوه بمكر وخديعة...) [٢٣]

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لتحصيل هذا الزاد[٢٤] لكي لا يفقدنا حيث أمرنا ولا يرانا حيث نهانا لكي نكون مصداقا لقوله جلت قدرته ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۞ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[٢٥]

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

المصادر:

القرآن الكريم

نهج البلاغة، شرح الشيخ ميثم البحراني.

ميزان الحكمة، الشيخ محمدي الريشهري.

مفردات ألفاظ القرآن الكريم، العلامة الراغب الأصفهاني.

تزكية النفس وتهذيبها، الشيخ إبراهيم الأميني.

الأخلاق في القرآن الكريم، الشيخ مصباح اليزدي.

سفر إلى الملكوت، السيد عباس نور الدين.

التقوى في القرآن الكريم، السيد كمال الحيدري.

حقيقة القلوب في القرآن الكريم، السيد عادل العلوي.

الخطوة الأولى نحو الآفاق، الشيخ حسن الرمضاني.

❖❖❖

الهوامش:

١ ـ الشمس: ٣.

٢ ـ الإنسان: ٣.

٣ ـ الفاتحة: ٦.

٤ ـ إلى هذا أشار الإمام الصادق عليه السلام بقوله: (العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة المشي إلا بعدا) الكافي ١: ٤٣، ح١، كتاب فضل العلم.

٥ ـ وقد أشار القرآن الكريم إلى النفس الأمارة وأمرها بالسيئات قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ﴾ يوسف: ٥٣.

٦ ـ البقرة: ١٩٧.

٧ ـ الكهف: ١١٠.

٨ ـ الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٥.

٩ ـ آل عمران: ٢٠٠.

١٠ ـ مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني: ٨٨١، مادة (وقى).

١١ ـ تزكية النفس وتهذيبها، للعلامة الأميني: ١٠١.

١٢ ـ ميزان الحكمة، ج١١، حرف الواو، ح ٢٢٤٧٠.

١٣ ـ الحج: ٣٢.

١٤ ـ ميزان الحكمة، ج١١، حرف الواو، ح ٢٢٤٧٨.

١٥ ـ حقيقة القلوب في القرآن الكريم: ١٠٨.

١٦ ـ آل عمران: ١٠٢.

١٧ ـ إشارة إلى مضمون حديث بهذا المعنى تقريبا، حيث قسمت العبادة الى عبادة العبيد وعبادة التجار وعبادة الأحرار.

١٨ ـ وإلى هذا يشير قول المعصوم عليه السلام: (ما عبدتك خوفا من نارك ولا رغبة في جنتك، بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك).

١٩ ـ إشارة لمقولة أمير المؤمنين عليه السلام المشهورة.

٢٠ ـ ميزان الحكمة، ج١١، حرف الواو، في التقوى.

٢١ ـ الأعراف: ٢٦. وقد وردت كثير من الروايات التي تشير إلى هذا المعنى. نذكر منها تبركاً ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (من تسربل أثواب التقى لم يبل سرباله). ميزان الحكمة ج١١.

٢٢ ـ الحجرات: ١٣.

٢٣ ـ من خطبة أمير المؤمنين في وصف المتقين لهمام، نهج البلاغة، للشيخ ميثم البحراني ٣: ٣٨١.

٢٤ ـ ولقد أجاد الأعشى في هذا المعنى في قوله:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لاتكون كمثله ... وأنت لم ترصد كما كان أرصدا

٢٥ ـ القمر: ٥٥.

الفريضة المهجورة

سيد ياسين سيد قاسم فضل
sysq@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

تمهيد:

إنَّ عمود الدين إذا تدهورَ أو سقطَ أصبحت مظلةُ الدينِ مضطربةً ومهددةً بالسقوط مع أيِّ هبّةِ ريحٍ أو تغيُّرِ وضع، فقول رسول الله ﷺ: (الصَلاةُ عِمادُ الدِّين) [1] هو بيانٌ واضحٌ لأهمية هذه الفريضة العظيمة ولكن ما تُقامُ به هذه الفريضة و غيرها[2] لابد أن يكون أفضل منها أو في عرضها ومستواها. وفقهاؤنا الأعلام يصرِّحون دائماً بأنَّ فريضة (الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المُنْكر) هي الفريضة التي (بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتُحلُّ المكاسب، وتمنع المظالم وتعمّر الأرض و ينتصف للمظلوم من الظالم...) [3] وهي من ضروريات الدين ومنكرها ـ مع العلم بوجوبها ـ كافر ووجوبها على جميع المسلمين وجوباً كفائياً، من السلطان والرعية إلى القوي والضعيف، والرجل والمرأة، كل ذلك مع تحقق الشرائط. فعلى هؤلاء جميعاً أن ينهضوا بهذا الواجب الديني ويجسّدوه عملياً من خلال الالتزام بشروطه الخاصة ـ كما سيأتي ـ وأنها كالصلاة والصيام و...، وأنها من أهم احتياجات الإسلام لضمان بقائه وديمومة حياته، وتعدّ واحدةً من أهم

عناصر الإسلام في الحؤول دون التخلّف عن الأحكام، وقوى و أفضل وأعمق أثراً من المؤسسات (البوليسية) المختلفة التي تلجأ إليها بقية المناهج الاجتماعية.

وموضوع بحثنا ـ هذا ـ هو هذه الفريضة الاجتماعية المهملة!؟ المهجورة، الغائبة!؟، وسيحوم البحث في ثلاثة محاور رئيسة هي:

١ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من القرآن الكريم.. الآيات الواردة في ذلك، معناه، مصاديقه.. مع الاستفادة الكبرى من السُّنة المطهرة.

٢ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في فتاوى الفقهاء والبحوث الفقهية.

٣ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الواقع الاجتماعي..

وسيكون الكلام ـ إن شاء الله ـ في هذه المحاور بشكل متداخل وسيختتم البحث بعبرٍ وقصصٍ موجزة للعظة والتذكُّر وإحياء القلوب..

من الآيات الواردة فيها: ﴿ولْتَكُنْ منْكُم أمَّةٌ يَدْعُون إلى الخَيرِ ويَأمُرُونَ بالمعروفِ ويَنْهَونَ عنِ المُنْكَرِ﴾، ﴿كُنْتُم خَيْرَ أمّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وتَنْهَونَ عَنِ المُنْكَرِ وتُؤْمِنُونَ بالله﴾.. وهناك الكثير الكثير.

أولاً: معنى المعروف والمنكر ومصاديقهما:

ـ المعروف: لغةً.. هو كل ما عرفه العقل بالحسن ويستحسنه، أو عَرِفَ الشيء وعَلِمَهُ بمعنى المعرفة المطلقة. وأمّا شرعاً: فهو عمل الواجب والمندوب ـ المستحب ـ مطلقاً.

ـ المنكر: لغةً.. ما ينكره العقل ويستقبحه، أو النكران يعني الجحود. وأمّا شرعاً: فهو القبيح الذي جعله الشرع في دائرتي الحرمة والكراهة بالإضافة إلى ترك المندوب ـ لدى البعض ـ[٤].

ولتحديد مصاديقهما بشكل أوضح، ننظر للأشياء بمنظار الشرع

ـ لأنه يمثل العقل في الخارج ـ وسنوجز ذلك بذكر بعض ما جاء في الكتاب الكريم: (المعروف: الإيمان، التفكّر، التقوى، حُسْن الخلق التوبة، والاستغفار، و...) (المنكر: الكفر، العصيان، الجهل، التخلف والتأخر، انكار الحق والروح والآخرة، والهمّ والحزن، و...) .

ثانياً: شرائط وجوبهما ـ كما يذكرها الفقهاء الأعلام ـ في رسائلهم وكتبهم و بحوثهم الفقهية:

الأول: أنْ يعرف الآمر أو الناهي أنَّ ما تركه المكلف أو ارتكبه معروف أو منكر، أي العلم شرط الوجوب، والبعض[٥] يعمم بقوله ولو المعرفة الإجمالية.

الثاني: أنْ يحتمل تأثير الأمر و النهي، فلو علم أو اطمأن بعدمه فلا يجب، والبعض يحتاط وجوباً بإظهار الكراهة ـ فعلاً أو قولاً ـ حتى مع عدم احتمال الارتداع.

الثالث: أن يكون الفاعل ـ العاصي ـ مصراً على الإستمرار[٦]، فلو علم منه الترك سقط الوجوب.

الرابع: أن يكون المعروف والمنكر منجّزاً[٧] في حق الفاعل إلا أن يكون مشتبهاً أو ما بحكمه، لم يجب شيء.

الخامس: أن لا يلزم من الأمر والنهي ضرر على الآمر ـ في نفسه أو عرضه أو ماله ـ الضررَ المعتد به أو الوقوع في الحرج، ولا فرق بين أن يظن أو يعلم بالضرر وحتى لو أنه سيصيب بعض المسلمين ـ في أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم ـ الضررَ المعتد به؛ فإنه يسقط وجوبهما، و لكن إذا كان المعروف أو المنكر من الأمور الراجحة شرعاً فلابد من الموازنة بل الترجيح بتقديم الأهم ـ شرعاً ـ على المهم.

ثالثاً: مراتب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر:

إنَّ من أهم ما يركّز عليه الإسلام في الجانب المعاملاتي مع كل

الأطراف والجهات الحرص والتأكيد على السلم والتسالم والرحمة والخُلُق الحسن واللِّين، ولكن مع عدم الجدوى بل التعنُّت مع مَنْ يُرى منه التمادي والتلاعب والتسيب في أخطر وأهم الأمور وهي (قضايا الدين) فيُتّخذ معه الإجراءات المناسبة، فكما قال بشير الأمة ونذيرها صلى الله عليه وآله: (مَنْ رأى منكم مُنْكراً فليُغيِّره بيده فإنْ لم يستطع فبلِسَانِه فإنْ لم يَسْتطع فبِقلبِه وذلِك أضعفُ الإيمان) [٨] فهنا مراتب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من منظار الفتاوى الفقهية:

المرتبة الأولى: بيان وإظهار الإنزجار القلبي، وله درجات أيضاً منها: غمض العين، العبوس والانقباض في الوجه، والإعراض بوجهه أو ببدنه وهجره و ترك مراودته ونحو ذلك.

المرتبة الثانية: الأمر والنهي باللسان والقول، أي بالعِظة والنصيحة والتذكير بنعَم الله عليه، وذكر ما أعد الله سبحانه للعاصين من العقاب الأليم والجحيم...

المرتبة الثالثة: الإنكار باليد، وهذا أيضاً على درجات وهي كما يعبَّر عنها أيضاً (بإعمال القدرة) ، ويقول البعض أنَّ في جواز بعض درجات هذه المرتبة من غير إذن الإمام عليه السلام أو نائبه إشكال.

وكثيرٌ من الفقهاء بل كلهم مجمعون على أنَّ هذه المراتب لابد من العمل بها بشكل رُتْبِي لا اختياري؛ أي العمل في أول الأمر بالمرتبة الأولى وإلا فباللسان فإن لم يكفِ ذلك أنكره بيده والبعض يقول بأنَّ القسمين الأولين في مرتبة واحدة فيختار الآمر والناهي ما يحتمل التأثير به.

رابعاً: صفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر:

فعن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: (إنَّما يأمرُ بالمعروفِ وينهى عنِ المُنْكرِ مَنْ كانت فيهِ ثلاثُ خصالٍ: عاملٌ بما يَأمرُ وتاركٌ لِما يَنْهى عَنه

عادلٌ فيما يَأمُر عادلٌ فيما يَنْهى، رفيقٌ فيما يَأمُر رفيقٌ فيما يَنْهى) [٩]

١ ـ التسلّح بالعلم: لابد من التوفر على العلم بالأحكام الشرعية الإلزامية وغيرها؛ لكي يكون قادراً على التشخيص الدقيق ومعرفة المعروف ـ المراد الأمر به ـ والمنكر ـ المراد النهي عنه ـ.

٢ ـ التوفر على التقوى والورع: لأن فاقد الشيء لا يعطيه وما يخرج من القلب يدخل إلى القلب فينبغي القوة في شخصية المتصدي لمثل هذا الأمر العظيم والسلوك الفاضل.

٣ ـ الخُلُق الحسن: ولاسيما الصبر والحلم وسعة الصدر كما قال الإمام الصادق عليه السلام: (مَنْ أمر بمعروفٍ فلْيَكن أمرُهُ ذلك بمعروف) [١٠] فمن طبيعة هذا المسلك وجود المعوقات، والصعوبات، والمشاكل أحياناً، ولكن بالخُلُق الحميد يصل إن شاء الله لمبتغاه..

٤ ـ القدوة الحسنة: وهذه ترتبط ارتباطاً وثيقاً بما قبلها، وهي أنَّ هذا المتصدّي لهذا الأمر إذا أراد أنْ يُصلحَ في الآخرين لابد أن يصلح ويصنع نفسه أولاً وقول الإمام الصادق عليه السلام في ذلك أبلغ وهو (كُونُوا دُعَاةً لنا بِغَيرِ ألسِنَتِكُم) [١١] والمقولة (مَنْ نَصَبَ نفسه للنّاس إماما ربَّا نفسه أولاً)

٥ ـ الحزم: وهذه أيضاً تندرج ضمن النقطة رقم ثلاثة ولكن أُفردت لأهميتها وكما قال الأمير عليه السلام: (الحزمُ كَيَاسة) [١٢] وهي صفةٌ ضروريةٌ للآمر والناهي و هي أنْ لا يخاف في الله لومة لائم، ولأنَّ (الحقّ مرّ) (فلا تستوحشوا طريق الحق لقلّة سالكيه) [١٣]، وليس الهدف إرضاء جميع الناس وكل الأطراف بل رضا الله هو الغاية، ولكن مع الحفاظ على الأساليب المُثلى.

٦ ـ ينبغي ـ أيضاً ـ الإلمام بمعرفة طرق وأساليب النصح والإرشاد

والمهارة الخاصة بذلك ـ أي بالمحببات والمرغبات وعدم التنفير ـ مع الأخذ بالوسائل الحديثة والمتطورة وخصوصاً (وسائل الإعلام الإتصالاتية..) واستثمار بعض الأوقات والمناسبات المهمة والمؤثرة.

٧ ـ الإطلاع والإحاطة بالأوضاع والظروف الاجتماعية والسياسية على المستوى المحلي والدولي والإقليمي والعالمي وفي كل الأصعدة ومتابعتها.

خامساً: المسؤولية الملقاة على عاتق العلماء:

بعد ذكر الشرائط والصفات التي ينبغي توافر الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عليها، نذكر المسؤولية ـ الخاصة ـ الملقاة على عاتق العلماء في تأدية هذه الفريضة العظمى، حيث أنه قد تتعيُّن هذه الفريضة بالوجوب العيني بالعنوان الثانوي ـ أحياناً، ولكن تتعين وبالدرجة الأولى على هذه الطائفة ـ العلماء ـ المستجمعة لهذه الشروط ـ غالباً ـ فعن النبي صلى الله عليه وآله: (إذا ظَهَرَتِ البِدَع في أمّتي فَلْيُظْهِرِ العَالِمُ عِلمَه فَمَن لم يَفْعلْ فَعليهِ لَعْنَةُ الله)[١٤]، ولا يعادلهم ولا يشاركهم في درجة تصديهم لها أحد من عامة الناس ولكن هذا لا ينافي أصل وجوب الأمر والنهي على جميع أفراد الأمة على نحو الكفاية وقد يجب عيناً في بعض مراتبه وقوله تعالى شأنه: ﴿**لو لا يَنْهاهُمُ الرَبَانيونَ والأحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإثم وأكلِهِمُ السُّحتَ لَبِئسَ ما كانوا يصنَعُون**﴾[١٥] وفي تفسير الصافي عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير هذه الآية قال: (إنَّما هَلَكَ مَنْ كانَ قَبلَكم حيثُما عَمِلوا بالمعاصي ولم يَنْهَهم الربانيون والأحبار).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: (أوحى الله عزّ وجلّ إلى شعيب النبي عليه السلام: إنّي معذبٌ مِن قومِك مئة ألف أربعين ألفاً من شرارهم

وستين ألفاً من خيارهم) .

فقال عليه السلام: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: (داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي) (١٦)

سادساً: الآثار المترتبة على ترك فريضة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.. على الفرد و المجتمع مستخلصة من السُّنة الشريفة:

عن الإمام الصادق عليه السلام: (ما أقرَّ قَومٌ بالمُنْكرِ بين أظْهُرِهِم لا يُغيِّرونَه إلا أوشك أنْ يعمَّهُمُ الله عزَّ وجلّ بعقابٍ مِن عنده) (١٧)

يُسْتَقرأ من الروايات الشريفة أنَّ تَرْك هذه الفريضة، يوجب نزول عموم أصناف العقاب والهوان والذُّل على الأمة.. ومِن تلك الآثار:

١ ـ شمول اللعنة من الله على خيار القوم وشرارهم (إشارة للحديث السابق) ..

٢ ـ حلول خذلان الباري تبارك وتعالى لمن تركها.. قال أبو جعفر عليه السلام: (الأمْرُ بالمَعْروفِ والنَّهي عَنِ المُنْكر خُلُقان مِنْ خُلُقِ الله فَمَن نَصَرَهُما أعزّه الله ومَنْ خَذَلَهُمَا خَذَلَهُ الله) (١٨)

٣ ـ انتزاع البركات وتسلُّط البعض على الآخرين، وابتعاد النصير عنهم في الأرض والسماء. كما قال صلى الله عليه وآله: (لا تَزالُ أمّتي بِخير ما أمَروا بِالمَعْروفِ ونهوا عن المُنْكر... فإذا لم يفعلوا ذلك نُزعت منهم البركات و...) (١٩)

٤ ـ يُولَّى عليهم شرارهم فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم. من وصية للأمير عليه السلام: (لا تَتْرُكوا الأمْرَ بالمَعْروفِ والنَّهيِ عَنِ المُنْكرِ فيُولّى عَلَيْكُم شِرَارَكُم ثُمَّ تَدْعُونَ فَلا يُسْتَجَابُ لَكُم) (٢٠)

٥ ـ نقصان أرزاقهم..

وهذه ـ أيُّها المسلم الغيور ـ كوارث عظيمة وفجائع موبقة؟! وأي بلاءٍ أعظم من هذه وأفجع؟! ولقد يسَّر الله هذا للذِّكر فهل مِن مدّكر؟!

سابعاً: ومما تقدَّم ـ ومن واقعنا الاجتماعي ـ نستخلص هذه الآثار الاجتماعية السلبية الناجمة عن ترك هذا الواجب العظيم، نوجزها في الآتي:

١ـ تفكك عرى العلاقات الاجتماعية داخل صفوف الأمّة.

٢ـ التخلف التوعوي ـ الإبتعاد عن قيم الدّين ـ في الأوساط الاجتماعية العامة والخاصة.

٣ـ تسلُّط الفكر والدعاية الغربية في مجتمعاتنا نتيجةً للغزو الثقافي والإعلامي الغربي..

٤ـ ازدياد المشكلات الاجتماعية (الأسرية، الأخلاقية، التربوية الاقتصادية وأهمها: الفقر....)

الخاتمة:

ينبغي للغيارى أن لا يسمحوا باستبدال المعايير الإلهية في المجتمع المؤمن، فإذا ما اختل معيار التقوى في المجتمع فمن الواضحٌ جداً حتمية إراقة دم إنسان مثل سيد الشهداء عليه السلام. وإذا ما غدا الملاك التحايل والتخبط بأمور الدنيا والتلاعب والافتراء وإهمال القيم الإسلامية فستكون النتيجة واضحة؛ بِتربُّع شخصٍ مثل يزيد على مقاليد الأمور، ويصبح شخصٌ مثل بن زياد الشخصية الأولى في العراق.

لقد تركّز عمل الإسلام على تغيير هذه المعايير بالوقوف بوجه المعايير المادية الباطلة في العالم وتغييرها، وخير مثالٍ إمامنا الخميني (قده) فمع حلوله انحسرت صفات القبح والدناءة ومنها: حب

الشهوات والتعلق بالدنيا والتبعية والفساد فيما ازدهرت التقوى والزهد والنقاء والنورانية والجهاد والحرص على بني البشر والرأفة والمروّة والأخوّة والإيثار والتضحية. وهنا لا بأس بذكر بعض التوصيات:

❖ إنَّ هذه الفريضة العظيمة ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ ركنٌ من أركان الإسلام الأساسية وهذه الفريضة كفيلة بإقامة سائر الفرائض الإسلامية، ويجب أن تُحيى في مجتمعنا وأنْ يشعر كل فرد من أبناء الأمة بالمسؤولية لبسط الخير والمعروف والصلاح، واقتلاع جذور الشر والمنكر والفساد، وما زالت أمامنا مسافة شاسعة حتى يبلغ المجتمع الإسلامي حقيقته بحيث يكفل لأبنائه السعادة الدنيوية والأخروية بشكلٍ تام، ويجتث منه الضلال والغواية والظلم والانحطاط وهذه المسافة يجب أن تطوى بهمم أبناء الأمة المؤمنين وجهود العلماء والمسؤولين، وذلك ما يتيسر عبر شيوع فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

❖ ولتنشَّط وتعمَّر المساجد التي هي مُنطلق المعنويات والتزكية والهداية يوماً بعد يوم وتُمَارس مهمتها في الحث على إتباع التعاليم النورانية للقرآن والتحلي بالإيمان والخُلُق الكريم والعمل الإسلامي في شتى زوايا المجتمع.

❖ ويجب أن يأخذ كتاب الله موقعه المتميّز بين أوساط الجماهير وتنتشر ظاهرة تعلُّمه والتَدبُّر والتعمّق فيه بين الجميع؛ ومن الخطورة بمكان المسؤولية التي يتحملها العلماء والمثقفين والكتّاب والخطباء في هذا المضمار.

❖ وينبغي أن لا تحصر هذه الفريضة الإلهية العظمى في دوائر ضيّقة محدودة، ولا تختص بفئة معينة، بل هي واجب على الجميع وبطبيعة الحال أن لكل تكليفه وكل بحسبه.

❖ إنَّ هذه الفريضة ـ وكما أسلفنا ـ شأنها شأن الصلاة وقابلة للتعلم

فعلينا جميعاً بتعلم مسائلها، وأنَّها ـ كما كررنا ونكرر ـ تكليف على عامة الناس في المجتمع الإسلامي باللسان، وأمّا إذا امتد الموقف إلى المواجهة فإن ذلك يتحمله المسؤولون المكلفون بذلك.

القِصَصُ والعِبَرُ الموجَزة عن هذه الفريضة المهمة

❖ **الكفر و الإيمان.. نقيضان لا يجتمعان:**

قبل أكثر من ١١٠ سنوات، في مجلس ضيافة وحفل كبير أقامته الحكومة الإيرانية ـ آنذاك ـ وحضره جمع من التجار الذين يرتدون العمامة والجبّة ـ تشبُّهاً بلباس العلماء ـ وكان في الاحتفال مطربٌ وفرقةٌ موسيقيةٌ و غيرها من المحرمات. نُقِلَ خَبَرُ هذا الإحتفال إلى العالِم الجليل الشيخ محمد حسين اليزدي، الذي تأثر كثيراً لما جرى فجاء يوم الجمعة وبعد صلاة العصر اعتلى الشيخ اليزدي المنبر وبكى طويلاً ثم أخذ يعِظ ثم قال: (أيُّها التجار الذين أصبحتم فجّاراً، لقد كنتم دائماً تسيرون خلف العلماء والروحانيين ثم ذهبتم إلى مجلس فسقٍ ترتكب فيه المحرمات.. وبدل أن تنهوهم شاركتموهم فيه؟ قطّعتم بذلك كبدي، وأحرقتم قلبي، ودمي في أعناقكم) ثم نزل من المنبر وغادر إلى بيته وفي المساء لم يحضر إلى المسجد فذهب الناس إلى بيته فإذا هو مريض وفي كل يوم يزداد مرض الشيخ إلى أن انتقل إلى رحمة الله..

أقول: لقد تأثر الشيخ اليزدي (أعلى الله مقامه) حين رأى المعاصي ترتكب علناً وازداد تأثراً بمشاركة من يتزيّون بزيٍّ العلماء والصلحاء وغَضِبَ لله حتى مَرِضَ وتُوفّي جراء تأثره بما جرى من ارتكاب المعاصي، ولم يتحمّل أنْ يعيش بين من يتظاهرون بالصلاح ويرتكبون المعاصي فمرض ومات؟! نسأل سؤالاً واحداً: يا ترى ماذا كان سيفعل الشيخ لو عاش في عصرنا وشاهد ما نشاهده من المعاصي

والمحرمات التي تُرتَكب في كل مكان وزمان وبكل صنف؟؟[٢١]

❖ نصيحة الدين:

ذهب العالم الرباني الميرزا القمي ذات مرة إلى رئيس إيران ـ آنذالك ـ، يحمل إليه نصيحة الدِّين فخاطب الشاه قائلاً: أيَّها الشاه اعْدِلْ، فإني أخشى على نفسي من نار جهنَّم، لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾. ومرةً أخرى، دخل العالِم الميرزا على الشاه وأخذ بلحيته الطويله وقال له: (أيَّها الشاه لا ترتكب عملاً فتحترق هذه اللحية غداً يوم القيامة..)

أقول: رأى هذا العالِم أنَّ تكليفه التدرّج في الأمر والنهي، وانطلق من مبدأ النصيحة المباشرة، وهذا ـ أيضاً ـ يدلُّ على شجاعة هذا العالِم.

❖ مثالُ التغيير بغير اللسان:

قام رجلٌ وهو يقول: سوف أشتم ـ هذا السيِّد ـ بئس شتيمة! بعد دقائق رُأيَ عائداً باكياً وعليه آثار الخجل والندامة؟! سُئل عن السبب؟ فقال: لقد شتمت السيد حتى باب منزله، وهو لا يَرد عند الباب توقف وطلب مني أن انتظره، دخل ثم رجع وبيده مبلغاً من المال، أعطاني ذلك وقال لي: راجعنا عند كل ضيق يعترضُك، إذ أخشى أنْ تُراجع غيرنا فلا يقضي حاجتك...

أقول: إنَّ هذا التغيُّر الذي أُحدِثَ بشكلٍ كبيرٍ في شخصية هذا الرجل؛ كله بفعل الخُلُق الفاضل الحسن، مضافاً لذلك أنَّ هذا السيد ـ وهو السيد أبو الحسن الأصفهاني ـ كان يمتلك التشخيص الدقيق نحو التكليف الموجَّه إليه.

حكاية، قصة.. لكل مقامٍ أسلوب

قبل ٣٣ عاماً، كنّا ـ على لسان الشهيد الدكتور آية الله السيد محمد حسين البهشتي ـ مع آية الله (..) وأخوة آخرين وأحدهم الشهيد مطهري نتبادل المشورة حول ذهابنا للتبليغ في شهر رمضان إلى

القرى النائية، تلك القرى التي يصعب الوصول إليها ويزهد فيها الآخرون.

قررنا أنْ نخبر سماحة آية الله العظمى السيد البروجردي (قده) بقرارنا هذا، فأخبرناه بواسطة الإمام الخميني ـ الذي كان في ذلك الوقت مدرِّساً كبيراً ـ، فرحّب السيد بهذا القرار ودعى لنا بالتوفيق.. لمّا عدنا وراجعنا التقارير كان أروعها تقرير آية الله (..)، حيث قال فيه: إنني انطلقت إلى أبعد القرى وكان وقت حصاد المحاصيل الزراعية فوجدت الناس القرويين رجالاً ونساءً وأطفالاً يخرجون من منازلهم إلى مزارعهم صباحاً، ويعودون مساءً، ويقومون هناك بدكّ القمح وتنظيفه وتعبئته إذا كان الجو معتدلاً، إلاّ أنهم يستريحون في المزرعة عند تعسّر الجو إلى أن تعتدل الرياح وتتناسب مع عملية الدّكّ والتجميع. من هنا رأيت أنَّه مِنَ الصعب أن أجمعهم في مكان داخل القرية فالجدير بي أن أشتري بعض الشاي والسكر وأذهب معهم إلى المزارع فأخذتُ أناديهم وقت الإستراحة: تعالوا أحكي لكم قصة! فأبدأ حديثي بقصة مشوّقة ثم أحشّيها بآيات وروايات ومسائل فقهية.

بعدها يضيف السيد الشهيد البهشتي قائلاً: هذا هو طريقنا طريق العمل مع الناس والحضور معهم، إنّنا لا نحيد عنه بأي ثمن. ونضيف: الأسلوب له دورٌ كبيرٌ في إيصال الأفكار، ولكل مقامٍ أسلوب.. [٢٢]

إنَّا أهلُ بَيتٍ مُرُوَّتُنا العَفْوُ عَمَّن ظَلَمَنَا[٢٣]

جاء أعرابي إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان المسلمون في المسجد بعد ذلك إلتفت وإذا بِصرّةِ مالِهِ ليستْ لديه، وما بقي في المسجد إلاّ الإمام الصادق عليه السلام.. فذهب الإعرابي للإمام واتهمه بسرقة صرّة ماله ـ وهو لا يعرف أنّه الإمام ـ فقال له الإمام: كم في الصرة من مال، فقال: ١٠٠٠ درهم فأعطاه الإمام مثله.. فخرج الأعرابي وإذا بصرّة ماله خارج المسجد، فدخل واعتذر من الإمام وعَرِفَ أنّه الإمام وعرف عظمته

فأسلم وآمَنَ على يد الإمام عليه السلام.. فأهداه الإمام ما أعطاه.

أقول: إنَّ مقابَلَةَ الإساءة بالإحسان هو قمة الأخلاق وهذا هو سلوك أهل البيت عليهم السلام وهذا ما يأمرونا به، فتغيير النفوس بالأخلاق أقرب وأسهل.. فلنعتبِر ونعمل..

الأخلاق الأخلاق.. سلاح الصلحاء:

في إحدى المناطق وبعد رجوعه في وقتٍ متأخرٍ من الليل إلى سكنه إلتقاه شابٌ منحرفٌ فجاء له يلوّح له بأن أخْرِج ما عندك من نقود وانزع خاتمك، فشَهَرَ ذلك الشاب سكيناً ووجّهها نحو الأخ العزيز، وكان بإمكانه القضاء على الشاب لضعفه وقصر قامته وصغر حجمه، لكنه مسك زنده وأخذ السكين من يده، وأخرج الأخ العزيز ما كان عنده من نقود، ونزع خاتمه وأعطاهم إياه، وأعطاه السكّين أيضاً، فأخذ الشاب ينظر إلى الأخ نظرات متكبّرة متحيّرة وبيده السكّين، فلم يرَ من الأخ أي خوف، بل رأى منه الطيب و الرقّة؛ فأخذ الشاب يبكي و هو يقبّل الأخ وحاول أنْ يقبّل يده.. انهياراً منه أمام سلاح الأخيار..

أقول: قبل قليل كان الشاب في قمة العنفوان و الغطرسة، بعدها تغيّر بل انهارت غطرسته تماماً و قام بالتذلل للأخلاق الرفيعة، فلنكن دعاة بهذه الأخلاق التي تهدِّم جبال الغطرسة و الانحراف.. [٢٤]

❖❖❖

الهوامش:

١ ـ كنز العمّال: ١٨٨٨٩ .

٢ ـ إشارة للحديث الآتي ذكره.

٣ ـ الكافي: ٥: ٥٦، ح١ .

٤ ـ بحوث فقهية لآية الله الشيخ الهمداني.

٥ ـ يقصد بالبعض في ـ الشرائط و المراتب ـ بعض الفقهاء و في الغالب السيد السيستاني (دام ظله).

٦ ـ المراد بالاستمرار الارتكاب ولو مرة أخرى (كما جاء في تحرير الوسيلة).

٧ ـ أي مصحح للعقاب إذا خالف العبد مولاه في تكليف مقطوع به لديه.

٨ ـ الترغيب والترهيب ٣: ٢٢٣، ح١.

٩ ـ الخصال: ١٠٩، ٧٩.

١٠ ـ كنز العمال: ٥٥٢٣.

١١ ـ حاشية مجمع الفائدة والبرهان: ٢٤.

١٢ ـ البحار ٧١: ٣٣٩، ح٨.

١٣ ـ حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام ولكن ليس نصاً.

١٤ ـ الوسائل ١١: ٥١٠.

١٥ ـ المائدة: ٦٣.

١٦ ـ الفروع من الكافي ٥: ٥٥.

١٧ ـ البحار ١٠٠: ٧٨، ح٣٤.

١٨ ـ الوسائل ١١: ٣٩٨.

١٩ ـ الوسائل: ١١: ٣٩٨.

٢٠ ـ نهج البلاغة، الكتاب: ٤٧.

❖: هذه النقاط مقتطفة ومستخلصة من كلماتٍ للسيد القائد الخامنئي.. من كتاب (الثقافة وبناء المجتمع)

٢١ـ مصدرها.. مجلة العصر، العدد ٢٧، شوال ١٤٢٥هـ، نقلاً عن السيد دستغيب.

٢٢ ـ المصدر السابق: ٤٣١.

٢٣ ـ أمالي الصدوق ٧: ٢٣٨.

٢٤ـ نقلاً عن صاحب القصة..

❖❖❖

أهم مصادر البحث:

- تحرير الوسيلة ج١، للإمام السيد روح الله الموسوي الخميني (قده).
- منهاج الصالحين ج١، لسماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني.
- الفقه الميسّر، للفيلسوف سماحة السيد محمد حسين الطباطبائي.
- الثقافة وبناء المجتمع، لسماحة آية الله العظمى السيد القائد الخامنئي.
- بحوث فقهية ـ عن الفريضة ـ، لسماحة آية الله النّوري الهمداني (دام ظله).
- ميزان الحكمة، للشيخ محمدي الريشهري (حفظه الله).

بحث حول روايات المشاهدة

محمد علي حسين العريبي
Albahrani-٧@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، سيما بقية الله في الأرضين وغياث المضطر المستكين.

قد تكاثرت بهذه العصور أطراف النزاع في أمور العقيدة وتفاصيلها، مما سبب تكثر الشبهات تبعا، فأسقط بغير وجه حق، وجه الحقيقة ليسفر عن حالة ملؤها التذبذب والشك. وهذه الحالة ـ وللأسف ـ قد تجد لها بين الحين والآخر سبيلا في بعض الكتابات والأوساط العلمية. ونحن نستعرض في هذه الأسطر أحد مصاديقها وهي أخبار المشاهدة للإمام الحجة عليه السلام في الغيبتين، بحثا موسعا حينا ومضيقا أخرى مع التعرض لبعض الشبهات والاشكالات.

الرواية الأولى

(من ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر)

أولا: مدرك الرواية:

ـ ذكره الشيخ الصدوق في كتابه (إكمال الدين وتمام النعمة) : (حدثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المكتِّب قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ علي بن محمد السمري ـ قدس الله روحه ـ فحضرته قبل وفاته بأيام فأخرج إلى الناس توقيعا نسخته:

(بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمري أعظم الله

أجر إخوانك فيك فإنك ميت فيما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية فلا ظهور إلا بعد إذن الله عز وجل وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جورا، وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) .

قال: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه، فقيل له: من وصيك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو بالغه. ومضى رضي الله عنه، فهذا آخر كلام سمع منه)[1] الحديث.

- ورواه عنه الشيخ الطوسي (م ٤٦٠ هـ.ق) في الغيبة[2].

- وأورده الشيخ ابن حمزة الطوسي (م ٥٦٠ ق) مرسلا في (الثاقب في المناقب)[3].

ثانيا: تقييم سند الرواية:

ناقش سند التوقيع الشريف الشيخ الميرزا محمد تقي الأصفهاني في كتابه مكيال المكارم، فقال:

(... فاعلم أن هذا حديث صحيح عال اصطلاحا[4] لأنه مروي عن مولانا صاحب الزمان (عج) بتوسط ثلاثة أشخاص:

الأول: الشيخ الأجل أبو الحسن علي بن محمد السمري[5]، وهو لجلالته واشتهاره غني عن البيان.

والثاني: الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، وهو أيضا لاشتهاره واشتهار كتابه وجلالة قدره لا يحتاج إلى التوضيح.

والثالث: أبو محمد الحسن بن أحمد المكتب، وهو كما ذكره الفاضل

الألمعي المولى عناية الله في مجمع الرجال، أبو محمد الحسن بن الحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب. ويروي عنه الصدوق مكررا مترضيا مترحما وهذا من أمارات الصحة والوثاقة، كما نبه على ذلك المولى المزبور في مجمعه، وذكر له شواهد عديدة... والمكتب بكسر التاء المشددة من يعلم الكتابة) [٦].

بحث في أبو محمد المكتب:

وقد وقع البحث هنا عن أبو محمد الحسن بن أحمد المكتب وسنذكر ما قاله علماء الرجال مع شيء من التعليق فنقول:

أبو محمد الحسن بن أحمد المكتب: لم يرد ذكره في كتب الرجاليين المتقدمين. ذكره السيد علي أكبر البروجردي (قده) (ت.١٣١٣هـ) في طرائف المقال، حيث قال:

((الحسن بن إبراهيم بن أحمد المؤدب المكتب، أكثر (ق) (أي الصدوق (قده)) من الرواية عنه مترضيا مترحما (تعق) (أي تعليقة العلامة البهبهاني (قده)) فلا بأس لقبول روايته، لكونه محلا للاعتماد والظاهر أنه ابن أحمد بن هشام، وهو أيضا غير مذكور في كتب الرجال))[٧].

وقصد (قده) من أحمد بن هشام، الحسين بن إبراهيم بن احمد بن هشام المؤدب المكتب.

وذكره السيد الخوئي (قده) في معجم رجال الحديث:

(من مشايخ الصدوق (قده) ترحم عليه، كمال الدين، الباب ٤٩ الحديث ٤٤) .

أقول: لم أجد ترحما عليه في المصدر، ولم يذكر في نفس الموضع الذي أشار إليه، ولعله يقصد الحسين بن أحمد المكتب، كما ذكر في الحديث ٤٩ في الباب٤٥ مع الترضي عليه. أما الحسن بن أحمد

المكتب فقد ذكر ـ بغير ترحم ـ في الباب ٤٥، الحديث ٤٤ كما سبق، والذي يظهر أنهما متحدان ويأتي ما يدل عليه.

وأما الموجود في كلماته (قده) بخصوص أمارية الترضي على التوثيق، فمنه ما ورد في بحثه على الصلاة ج ١ـ ص ٧٣:

(وأما ترضى الصدوق (قده) وترحمه ففيه آن أئمتنا عليهم السلام قد كانوا يترحمون لشيعتهم أو لزوار قبر الحسين (ع) كقولهم: رحم الله شيعتنا ـ مثلا ـ أو نحوه مع أن فيهم من هو محكوم بفسقه أو بعدم وثاقته جزما، فان الترحم والترضي محلهما صدور أي عمل حسن أو صفة مستحسنة من صاحبها، ومن الظاهر أن التشيع من أحسن الكمالات والخيرات الموجبة لهما. وترحم الصدوق لا يزيد على ترحمهم عليهم السلام. نعم ظهر لنا من تتبع حالاته انه لا يترضى ولا يترحم على غير الشيعة فالذي يثبت بترضيه إنما هو تشيع ابن عبدوس وأما الوثاقة التي هي المعتبرة في الراوي فلا) إنتهى.

وفي كلامه (قده) أمور:

١ـ المساواة بين معنى الترضي والترحم، ويلاحظ عليه أنهما مشتركان في النوع فقط، فكلاهما دعاء، غير أن النظر العرفي يفرق بين لازميهما، ((فإنه لا يقال في حق شخص: (رضي الله عنه) إلا في مقام التعظيم والإكبار)). راجع (أصول علم الرجال بين النظرية والتطبيق ص٤٩٢ للشيخ الداوري (حفظه الله)).

٢ـ ثم تأييد قوله (قده) بما ورد فيه الترحم دون الترضي.

٣ـ أن ما استدل به هنا، هو نفس ما أدرجه (رحمه الله) في المعجم (٩ـ ترحم أحد الأعلام ج١/٧٤/ط٥) في مناقشة سائر التوثيقات العامة) وكلا المذكورين دلالتهما أخص من المدعى، يصحان في جانب الترحم فقط.

أقول: يقوى احتمال كونه (الحسين) لا الحسن، لما استظهره السيد البروجردي (قده) سابقا، ولوجوه ذكرها في تهذيب المقال السيد محمد على الأبطحى (قدس الله روحه) ج ٢/ ص ٣٧٢ في ترجمة الحسين بن إبراهيم بن احمد بن هشام المؤدب المكتب، قال:

(ذكره ابن حجر في لسان الميزان ج ٢ / ٢٧١ قائلا: الحسين بن إبراهيم بن أحمد المؤدب روى عن أبي الحسين محمد بن جعفر الأسدي وغيره.

قال علي بن الحكم في مشايخ الشيعة: كان مقيما بقم، وله كتاب في الفرائض أجاد فيه، وأخذ عنه أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه وكان يعظمه.

قلت: لم أقف له على ترجمة في كتب أصحابنا غير علي بن الحكم على ما ذكره ابن حجر (م ٨٥٢ ق) وكان الحسين من مشايخ الصدوق(ره) روى عنه في كتبه كثيرا مترضيا مترحما عليه. وقد كناه بأبي محمد كما في الإكمال باب ٤٩ / ٤٧٦ قائلا: حدثنا أبو محمد الحسين بن احمد المكتب، وص ٤٧٩: حدثنا أبو محمد الحسن ابن احمد المكتب رضي الله عنه قال كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها السمري فحضرته قبل وفاته بأيام فخرج إلى الناس توقيعا ثم ذكره وفيه أمره بعدم الايصاء إلى أحد، فانه قد حانت الغيبة الثانية ورواه في الغيبة (٢٤٢) عن الصدوق نحوه.

ثم أن الموجود في الكتب وروايات الصدوق (ره) (الحسين) مصغرا إلا ما تقدم عن موضع من الإكمال والغيبة وهو الأنسب لتكنيته بأبي محمد إلا انه بعد عدم الملازمة بين التسمية بالحسن، والتكنية بأبي محمد فالأظهر ما عليه كتب الأصحاب ورواياته من الضبط بالحسين مصغرا. ولقب بالمكتب كما تقدم عن مواضع من الخصال والعيون

وأيضا بالمؤدب كما في لسان الميزان، وفي الإكمال (٤٨٤) وعيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ / ٧٢ ومواضع كثيرة... ثم إن الاقتصار على اسم أبيه أو مع ذكر جده أحمد أو ذكره كما تقدم في العنوان لا يدل على التعدد وذلك بقرينة من روى عنه فلاحظ) انتهى.

وكتاب علي بن الحكم أو حكم مفقود ولم يحك عنه سوى ابن حجر في لسان الميزان وقيل العلامة في الخلاصة كذلك، فإن قبلنا حكاية ابن حجر عن كتاب علي بن الحكم، احتجنا لمعرفة حال علي بن الحكم، وإن لم نقبلها فلا أقل من كون كلامه هذا صالحا للتأييد.

فاما علي بن الحكم أو علي بن حكم، صاحب كتاب (رجال الشيعة) أو (رجال علي بن الحكم)، فقد عرفه صاحب الذريعة:

(وهو على بن الحكم بن الزبير النخعي الانباري، تلميذ ابن أبى عمير، وقد لقى من أصحاب أبى عبد الله الصادق (ع) جمعا كثيرا. وهو مثل الحسن بن على بن فضال وعبد الله بن بكير كما ذكره الكشى. ويروى عنه احمد بن أبى عبد الله البرقى الذى توفى (٢٧٤) أو (٢٨٠) كما في النجاشي والفهرست. ينقل عنه كثيرا في (لسان الميزان) بعنوان ذكره على بن الحكم في رجال الشيعة) الذريعة ج / ص.

فهو تلميذ لابن أبي عمير المتوفي سنة ٢١٧ هـ. ومن مشايخ البرقي المتوفي سنة ٢٧٤أو ٢٨٠هـ، وهو ثقة بصريح أقوال الرجاليين فيه. وللشيخ وللصدوق طرق إليه، ينتهي الشيخ فيها إلى خمسة وسائط والصدوق إلى أربعة أو ثلاثة.

إلا أنه هل هو نفس صاحب الكتاب أم هما متعددان، الظاهر الثاني؛ وإلا كيف يترجم علي بن الحكم للحسين المؤدب ويذكر أخذ الصدوق عنه، والحال أن للصدوق لعلي بن الحكم طريق من ثلاثة وسائط، وهو شيخ للبرقي !!.

فالتحقيق، كونه شخصا آخر غير ما ترجم له في كتب الرجال، وهذا ما أفاده الشيخ (هادى دانشور) في مقاله (التشرفات بين النفي والإثبات) مجلة موعود ـ العدد٣، وقد أحسن وأجاد.

وأما كون الترضي على شخص أمارة الوثاقة، لو ورد على لسان أهل الفن فضلا عن المعصوم عليه السلام، فقد تقدم طرف منه عند ذكر مقالة السيد الخوئي في ترجمة الحسن المكتب.

وتقدم أيضا أن المكتِّب قد تكرر ترضي أو ترحم الشيخ عليه مفردا أو منضما إلى غيره في جل المواضع وأغلبها.

ولو لم يكن الترضي أمارة على الوثاقة، فلا شك أن تكرر ذلك كثيرا موجب للقطع بأنها شهادة من المترضي في حق المترضى عليه. وبعبارة أخرى: إن (الجانب الكمي) غير مهمل ولابد من أخذه بعين الاعتبار، لو سلمنا بعدم الأمارية.

فالأقرب ما قاله السيد الداماد (قده) في الرواشح السماوية، الراشحة الثالثة والثلاثون:

(ثُم إن لمشايخنا الكبراء مشيخة يوقرون ذكرهم ويكثرون من الرواية عنهم والاعتناء بشأنهم ويلتزمون إردافهم تسميتهم بالرضيلة عنهم أو الرحملة لهم البتة، فأولئك أيضا ثُبَّتٌ فخماء أثبات أجلاء ذُكِروا في كتب الرجال أو لم يُذكروا) .

ولعل الأغلب من علمائنا ذهبوا إلى مثل هذا، فراجع مثلا:

فوائد الوحيد/٥٣، مقباس الهداية ج٢/١٣٠و٢٧٥، عدة الرجال ج١/١٣٤، تنقيح المقال ج١/٢١٠.

نتيجة البحث:

فالنتيجة أن (الحسن) هو تصحيف (الحسين) على الأظهر، وهو من مشايخ الصدوق الأجلاء الثقاة روى عنه كثيرا جدا وترضى وترحم

عليه في جل المواضع إن لم تكن كلها، فالسند غاية في الصحة، والله العالم.

نعم ادعى بعض الفضلاء . مشافهة معه . من المعاصرين أن للصحيحة سند آخر مذكور في كتاب الغيبة للشيخ ولم نجده.

أدلة أخرى على صحة الرواية:

ثم قال[٨] الشيخ الميرزا محمد تقي الأصفهاني (قدس سره):

(ومما يدل على صحة هذا الحديث وصدوره عن الإمام أيضا، أن الشيخ الطبرسي (رضي الله عنه) صاحب كتاب الإحتجاج ذكره مرسلا من دون ذكر السند، والتزم في أول الكتاب وصرح بأنه لا يذكر فيه سند الأحاديث التي لم يذكر أسانيدها، إما بسبب موافقتها للإجماع، أو اشتهارها بين المخالف والمؤالف، أو موافقتها لحكم العقل. فظهر أن الحديث المذكور أيضا كان غنيا عن ذكر السند؛ إما لموافقة الإجماع أو لاشتهاره، أو لكليهما جميعا[٩].

ومما يدل أيضا على صحته، أن علمائنا من زمن الصدوق (قده) إلى زماننا هذا استندوا إليه، واعتمدوا عليه ولم يناقش ولم يتأمل أحد منهم في اعتباره كما لا يخفى على من له انس وتتبع في كلماتهم ومصنفاتهم.

الخلاصة:

فتبين من جميع ما ذكرناه أن الحديث المذكور من الروايات القطعية، التي لا ريب فيها، ولا شبهة تعتريها، وهو مما قال فيه الإمام عليه السلام فإن المجمع عليه لا ريب فيه[١٠]) انتهى.

... يتبع القسم الثاني في العدد القادم

❖❖❖

الهوامش:

١ ـ إكمال الدين وتمام النعمة: ٥١٦ ـ الباب ٤٥، ح٤٤.

٢ ـ الغيبة: ٣٩٥، ح٣٦٥.

(تخريج محشي كتاب الغيبة: عنه إثبات الهداة ٣: ٦٩٣، ح ١١٢ مختصرا وفي البحار ٥١: ٣٦٠، ح٧ عنه وعن كمال الدين: ٥١٦، ح ٤٤. وأخرجه في البحار ٥٢: ١٥١، ح١ عن الكمال والاحتجاج: ٤٧٨. وفي الخرائج ٣: ١١٢٨ ومنتخب الأنوار المضيئة: ١٣٠ وإعلام الورى: ٤١٧ عن ابن بابويه. وفي الصراط المستقيم ٢: ٢٣٦ عن أبي جعفر مختصرا وفي كشف الغمة ٢: ٥٣٠ عن إعلام الورى. وأورده في تاج المواليد: ١٤٤ مرسلا مثله. وفي ثاقب المناقب: ٢٦٤ عن الحسن بن أحمد المكتب).

٣ ـ الثاقب في المناقب: ٦٠٣: ٥٥١ / ١٥.

٤ ـ لقلة الوسائط، وهم الثلاثة المذكورون.

٥ ـ آخر سفراء الإمام الثاني عشر (عليه آلاف التحية والسلام)، جليل الشأن عظيم المنزلة، صاحب سر الإمام عليه السلام في غيبته الصغرى، غني عن التعريف والتوصيف.

٦ ـ مكيال المكارم ٢: ٣٣٤.

٧ ـ طرائف المقال ١: ١٦٧.

٨ ـ مكيال المكارم ٢: ٣٣٤.

٩ ـ مؤلف كتاب (الإحتجاج على أهل اللجاج) هو أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت ٥٦٠هـ ـ ١١٦٥م)، من أجلاء علمائنا الإمامية وشيخ بن شهرآشوب، ولا ريب في وثاقته وجلالته، ولا شك في نسبة الكتاب إليه (ره) والطريق إليه معتبر.

قال (ره) في مقدمة كتابه:

(ولا نأتي في أكثر ما نورده من الأخبار بأسناده، إما لوجود الإجماع عليه، أو موافقته لما دلت العقول عليه أو لاشتهاره في السير والكتب بين المخالف والمؤالف، إلا ما أوردته عن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام). (الإحتجاج:٤ مؤسسة النعمان ـ بيروت).

وعبارة الكتاب قاصرة عن إثبات صحة رواياته وإخراجها إلى حد الإعتبار فالإجماع غير ثابت، ومطابقة المضمون لحكم العقل لا يكفي لإثبات الصدور والشهرة المتصورة من ظاهر العبارة هي الروائية، وهي لا تنفع لتصحيح الرواية ـ كما قرر في محله ـ بل تكون من المرجحات في باب التعارض، فتوجب ترجيح إحدى الروايتين على الأخرى.

وفي المقام:

لا يصح التعويل على المرسلة اعتمادا على شهادة مؤلف الإحتجاج (ره) في مقدمة كتابه، لما ذكر.

إلا أن يقال أنه بعد إسناد الشيخ (قده) في الغيبة ـ ومن أتى بعده كما هو الموجود لدينا ـ الرواية للشيخ الصدوق، يغلب الظن أن يكون الطريق منحصرا إليها فيه (قده)، فيرجح كون الرواية في (الإحتجاج) كذلك، منقولة عن كتاب الصدوق (قده) أو من أسند إليه كالشيخ (قده) ومن تبعه.

١٠ ـ وسائل الشيعة (ط آل البيت ٢٧: ١٠٦، ح٩ من أبواب صفات القاضي). وهو دليل حجية الشهرة الفتوائية بين قدماء أصحابنا، المتقدمين على الشيخ (قده).

قد وقعت الغيبة الثانية..

فلا ظهور إلا بعد إذن الله عز وجل

وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب

وامتلاء الأرض جورا

الإمام صاحب العصر والزمان (عج)

شذرات
من التراث الأدبي في البحرين

فاضل عبد الجليل الزاكي
fadhelfadhel@hotmail.com

استحوذ الأدب على جانب مهم من حياة العرب قبل الإسلام، فصاغوا من خلاله أفكارهم وحكاياتهم، فصارت أشعارهم أشبه بكتاب يحكي تفاصيل حياتهم وفلسفتها، وما كان يعتريها من مغامرات، فجاء الشعر الجاهلي في مواضيعه ومفرداته حاكيا بصدق عن هموم البيئة الصحراوية التي قطنها العرب.

وعندما جاء الإسلام أوجد هزة قوية قلبت حياة العرب رأسا على عقب، فتغيرت أفكارهم وهمومهم وتطورت حياتهم بمجملها، وقد أثر ذلك على أشعارهم، فتغيرت مواضيعها ومفرداتها وتعددت تبعا للظروف فصار الشعر معبرا عن الحالة الجديدة التي طرأت على حياتهم.

وتعتبر المعارضات الشعرية من بين الظواهر التي رافقت الشعر العربي في العصر الجاهلي وفي العصور الإسلامية المتعاقبة، ففي العصر الجاهلي حيث الحروب والنزاعات القبلية كان الشعر من بين الميادين التي انعكست فيها تلك الحالة، فقد كان لكل قبيلة شعرائها الناطقين باسمها، وكانت ألسنتهم تلهج بذكر مفاخر القبيلة وأمجادها وانتصاراتها العسكرية التي حققتها على القبائل الأخرى، ويقومون بالرد على من يسيء بشعره إلى القبيلة أو ينتقص منها.

وعند مجيء الإسلام . وقبل أن ينتشر . انعكس الصراع بين المسلمين والمشركين في قصائد شعرائهم فكانت هناك معارضات بين شعراء قريش من جهة وشعراء المسلمين من جهة أخرى، وبعد انتشار الإسلام برزت ظاهرة تعدد الفرق والمذاهب سواء العقائدية منها أو الفقهية أو السياسية وأحيانا الفكرية أيضا، ورافقها بروز حالة من الصراع والجدال حول هذه الآراء، ولم يكن الشعر بمنأى عن هذه الحالة فأنشئت القصائد التي تتبنى هذه التيارات وتدافع عنها وتتصدى للتيارات المناوئة.

ولم تكن البحرين نشازا عن هذه الحالة، ولكن الظروف التي مرت بها البحرين خصوصا في القرون الأخيرة أضاعت جل تراثها الأدبي وشوهت البقية المتبقية من هذا التراث، فلا نكاد نعثر إلا على النزر اليسير الذي سلم من يد الحاقدين والعابثين معا، مما يجعل من العسير على الباحث أن يتلمس طريقه وسط هذا الظلام، إلا أن البقية المتبقية مما وصل إلينا من هذا التراث قد تعطينا بعض الملامح غير المتكاملة للوضع الأدبي السائد آنذاك، ولعل الزمن يكشف لنا عن المزيد من هذا التراث ويخرجه إلى النور.

أنقل هنا مقطعا شعريا كتبه أحد شعراء البحرين الماضين، وقام مجموعة من الشعراء بالرد عليه، في مساجلة شعرية جميلة تكشف للباحث جانبا مما كانت عليه الحياة العلمية والأدبية في البحرين آنذاك، أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر الهجري.

صاحب الأبيات هو العلامة السيّد عبد الرؤوف (الثاني) ابن السيّد حسين بن السيد أحمد بن السيد عبد الرؤوف (الأول) أبن السيد حسين

الموسوي الجدحفصي، وقد توفي هذا الشاعر سنة ١١١٧هـ وكانت ولادته سنة ١٠٦٦هـ، وكان من تلامذة الشيخ سليمان بن علي الإصبعي الشاخوري المتوفى سنة ١١٠١هـ، وكان السيد عبد الرؤوف من الشعراء المعروفين في البحرين في ذلك الوقت، وله ديوان شعر، وكذا آبائه وأجداده فقد كانوا شعراء وقضاة في البحرين في أوائل القرن الحادي عشر الهجري[١]، فقد قال هذا الشاعر منتقدا أولئك الذين يتخذون من الدين والعبادة طريقا لخداع الناس فيفرغون العبادة من محتواها الحقيقي وهو تقرب العبد لربه، ويسخرونها لنيل مآربهم الخاصة وشبههم بالبعوض الذي يسهر طوال الليل لا لشيء سوى شرب دماء البشر، وقد أفرغ انتقاده في هذين البيتين:

لا يخدَعنّك عابدٌ في ليله ... يبكي وكن من شرّه مُتحذّرا

لم يسهر الليلَ البعوضُ ولم ... يصح في جُنحه إلاّ لشُربِ دم

والظاهرة التي أشار إليها الشاعر رغم وجودها في كل زمان ومكان إلا أن الخطأ الذي وقع فيه الشاعر هو تعميم الفكرة على الجميع وعدم تخصيصها، مما يعطي إنطباعا بشمولية هذه الظاهرة، ولذا فقد انبرى جملة من العلماء والأدباء للرد عليه في ما طرحه، ولكن للأسف لم تصلنا سوى مجموعة قليلة من الردود والتي وصلت بعد أن أصابها التحريف من النسّاخ كما هي العادة فوصلت وقد فقدت الكثير من رونقها، ومن باب الأمانة العلمية والأدبية سأحاول أن أنقل الردود هنا من غير أن أتصرف فيها بالتعديل والتغيير، وسأنقل هنا ثمانية ردود هي مجموع ما رأيته من ردود على هذه القصيدة وإن كنت أطمئن إلى وجود عدد آخر من الردود لم تصل إلينا، وقد تفاوتت هذه الردود قوة وضعفا

من شاعر لآخر وسأترك التعليق على هذه الردود لقصر باعي في مجال الشعر والأدب، وربما يوفق أحد الإخوة للتعليق عليها ونقدها نقدا أدبيا في المستقبل.

وقد نقلت بعض هذه الردود من كتاب (منتظم الدُرين) للشيخ محمد علي التاجر، وكان ذلك حين طلبت مني (دار المصطفى) في قم أن أقوم بملاحظة الكتاب والتعليق عليه بغية طبعه، وقد أشتغلت بذلك مدة من الزمن إلى أن أنهيته، وقد أنتهزت تلك الفرصة وجمعت هذه الردود من ذلك الكتاب، كما نقلت ردودا أخرى من موسوعة شعراء البحرين، وأما الرد الثامن فقد نقلته من إجازة كتبها الشيخ حسن الدمستاني لإثنين من تلامذته في سنة ١١٧٨هـ[٢].

١ــ الرد الأول لصديقه الشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزي المعروف بالمحقق البحراني[٣]، حيث قال في رده:

تالله ما أنصفت في ذمّ الأولى ... بلغوا السهى وتجاوزوا هام
شربوا بكأس الحب واطّلعوا على ... أسراره سحراً وقد طال السرى
عاطاهم كأس الرضا فتهافتوا ... في حبّه وتهالكوا بين الورى
إنّ البعوض أتى نصيحاً زاجراً ... لما غلا أهل الجهالة في الكرى

٢ـ الرد الثاني للشيخ سليمان[٤] بن علي بن سليمان بن راشد بن أبي ظبية الإصبعي الشاخوري (المتوفى سنة ١١٠١هـ) وقد قال في رده:

لا تعتقد سوءاً بعابد ليله ... يبكي فقطرة دمعه تطفي الأرا
سهر الليالي في استقالة ذنبه ... وغداة صبح يحمد القوم السرى
شرب البعوض دماء قوم أسرفوا ... وسروا لجهلهم العبادة بالكرى

٣ . الرد الثالث للمحدث الشيخ عبد الله بن صالح السماهيجي

الإصبعي البحراني[٥]، حيث قال في رده:

نأت الخديعة عن مصلي ليله ... باك لسوئته بأشرف من برى
حتى لقد سهر البعوض تأسيا ... وليسفكن دماء من صحب
وصاح لله تسبيح كما ... الكرى

٤ ـ الرد الرابع للشيخ عبد النبي بن لطف الله بن علي البحراني[٦] حيث قال في رده:

لولا رجال مؤمنون ونسوة ... صاموا الهجير وطلقوا غمض
لم يمهل الله العصاة ولم ير ... عاص له يمشي على وجه

٥ . الرد الخامس للشيخ محمد بن يوسف بن صالح المقابي البحراني[٧]، حيث قال في رده:

إن العبادة غاية في خلقنا ... فأتل الكتاب وكن له متدبرا
وكذا البكاء له فوائد جمة ... مأثورة يدري بها من قد درى
أو ما سمعت وعيد ربك للذي ... ترك العبادة عده مستكبرا
إن البعوض صياحه تسبيحه ... والشرب من دمنا للطف قد

٦ ـ الرد السادس للعلامة الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن يوسف المقابي البحراني[٨]، وهو أبن صاحب الرد السابق، وقد قال في رده:

عجبا لمن قعدت به أفكاره ... عن فهم سر مليكه فيما برا
ذم الذين تهجدوا وهم هم ... قوم لوجه الله قد هجروا الكرى
لم يسهر الليل البعوض لقصده ... ظلما ولا طلبا لشرب دم الورى
لكنه حيث الدماء تنجست ... بالنص أرسل للدماء مطهرا

وقد أشار في البيت الأخير إلى طهارة دم الإنسان بـ(الانتقال) إلى

جسم البعوض على ماورد في الروايات وعبائر الفقهاء.

٧ . الرد السابع للشاعر السيد حسين بن السيد علي الحسيني البحراني[٩] حيث قال في رده:

عجبا لمن بالفكر أتعب نفسه ... في ذم من عبد الإله من الورى
لا يخدعنك فهو أولى بالذي ... قد قال فأحذر شره فيما اجترى
والله ما خلق البعوضة عابثا ... بل موعظا ومنبها ومذكرا
سهرت تسبح ربها وتصيح من ... خوف وتشرب للدماء لتزجرا

٨ . الشيخ حسن بن محمد بن علي بن خلف الدمستاني[١٠] وهو متأخر زمانا عن السيد عبد الرؤوف الجدحفصي، ولكنه تعرض لأبيات السيد عبد الرؤوف الجدحفصي في ضمن إجازته لبعض تلامذته وقال معقبا عليها: (وقد انتدب لمعارضتها كثير من العلماء الأعيان) ثم ذكر الأبيات التي أوردناها للشيخ احمد المقابي، وعقب عليها بقوله: (وقلت مرتاحا للجري في جملتهم لعلي أكون سُكَيْتاً[١١] لحلبتهم:

يا ضاربا مثل البعوض لعائد ... لله قد هجر الكرى أطرق كرا
الله يمدحه وأنت تذمه ... لله أنت لو ارتأيتَ مفكرا
كم حكمة خفيت عليك وجوهها ... في طي تسليط البعوض على
كم من دم نجس وكم متكبر ... رجعا لديه مطهرا ومحقرا

هذه الثمانية مقاطع هي كل ما عثرت عليه من ردود على البيتين الذين انشدهما السيد عبد الرؤوف الجدحفصي، وإني على أمل كبير في أن يكشف لنا المزيد من الردود التي لم نطلع عليها.

الهوامش:

١ ـ ينحدر الشاعر من أسرة عرفت بالعلم والأدب، فقد كان جده السيد عبد الرؤوف الأول المتوفي في سنة ١٠٠٦هـ، قاضي القضاة في البحرين، وبعد وفاته صار منصب القضاء إلى اولاده كالسيد جعفر والسيد حسين ابني السيد عبد الرؤوف الأول وكان في هذه الأسرة مجموعة من الشعراء، لعل من ابرزهم ابن عمتهم العلامة السيد ماجد الجدحفصي المتوفي سنة ١٠٢٨هـ، وهو ابن أخت السيد عبد الرؤوف الأول.

٢ ـ هذه الإجازة متوسطة وفيها بعض الفوائد والفرائد، وقد كتبها الشيخ حسن الدمستاني لإثنين من تلامذته هما (الذكي الألمعي الشيخ عبد الحسين بن أحمد الإصبعي) و(العالم الإلهي الحاج علي نقي بن آقامحمد الزير آبادي) وتاريخها عصر الجمعة سابع شوال سنة ١١٧٨هـ، وقد عثر على هذه الإجازة في ضمن مخطوطات المحدث الأرموي، راجع (ميراث حديث شيعه، دفتر دوازدهم، ص٤٣٣).

٣ ـ هو المحقق الشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزي البحراني، ولد في سنة ١٠٧٥هـ، انتهت إليه رئاسة القضاء في البحرين، وتتلمذ على يديه جمع كثير من العلماء، له مؤلفات كثيرة وقد طبع عدد منها، توفي في ١٧ رجب سنة ١١٢١هـ ودفن في قرية الماحوز بالبحرين، كتبت عنه ترجمة مفصلة جدا في مقدمة تحقيقي لكتابه (فهرست علماء البحرين).

٤ ـ هو العلامة الشيخ سليمان بن علي بن سليمان بن راشد بن ابي ظبية، أصله من قرية (ابي اصبع) المعروفة حاليا بـ(ابوصيبع)، ولكنه انتقل بعد ذلك الى قرية (الشاخورة) وتوفي ودفن فيها، له العديد من المصنفات، وحينما توفي الشيخ سليمان المشار إليه (في شهر رجب سنة ١١٠١هـ) رثاه السيّد عبدالرؤوف ـ وكانت بينهما صحبة خاصة ـ بقصيدة أرّخ فيها وفاته بقوله:

صاح الغراب بـ(غاق) في رجب على موت الفقيه فأيّ دمع يدخر

وكلمة «غاق» بحساب الجُمل تساوي سنة ١١٠١هـ.

راجع ترجمته في (فهرست علماء البحرين: ١٣٨).

٥ ـ المحدث المعروف، ولد في البحرين بقرية (سماهيج) في حدود (سنة ١٠٨٦هـ) وانتقل منها بمعية والده وهو في الثامنة من عمره حيث سكن قرية

(أبي إصبع) وفيها ترعرع ونشأ، وكان من أبرز تلامذة الشيخ سليمان الماحوزي وقد اشتغل بالتدريس والتصنيف مدة من الزمن، وفي آخر عمره هاجر إلى بهبهان وتوفي فيها (سنة ١١٣٥هـ).

٦ ـ وهو من المعاصرين للشاعر، وكان مقيما في مدينة مشهد في (سنة ١٠٨٦هـ) هو وأخوه الشيخ عبد المهدي، وقد قاما بمقابلة وتصحيح بعض المخطوطات راجع (تراجم الرجال ٢: ١٢٦) والظاهر أنهما كانا يقيمان في مشهد بهدف الدراسة، ولا نعرف على وجه الدقة متى عادا إلى البحرين، وللشيخ عبد المهدي أعقاب بعضهم شعراء راجع (الذريعة ٩: ٩٤٤)

٧ ـ كان من علماء القرن الحادي عشر، ولكنه أدرك أوائل القرن الثاني عشر وُصف بأنّه متفنّن في العلوم العقلية والرياضية، وكان شاعراً، وقد تتلمذ على يديه عدد من علماء البحرين، مات سنة ١١٠٣هـ (سنة ١٦٩٢م)، ودفن في مقبرة (مقابا) في البحرين، راجع (فهرست علماء البحرين: ١٤٥).

٨ ـ كان من العلماء الأجلاء، له العديد من المصنفات، وقد قال عنه الشيخ يوسف البحراني في اللؤلؤة ص٣٨: (وعندي أنه أفضل علماء بلادنا البحرين ممن عاصره وتأخر عنه بل وغيرهم)، توفي بمرض الطاعون سنة ١١٠٢هـ أثناء زيارته للكاظمين عليهما السلام ودفن هناك، كتبت عنه ترجمة مفصلة في (فهرست علماء البحرين: ١٤٧).

٩ ـ هكذا ورد اسمه في (موسوعة شعراء البحرين١: ٣٢٦) والظاهر أنه نفس السيد حسين بن السيد علي بن السيد عبد الله الشاخوري البحراني المذكور في (الذريعة ٢٢: ٣٣٦)، والذي كان حيا في منتصف القرن الثاني عشر، فيكون متأخرا عن زمان السيد عبد الرؤوف بحوالي أربعين سنة.

١٠ ـ الشاعر المعروف صاحب القصيدة الشهيرة التي مطلعها (أحرم الحجاج عن لذاتهم بعض الشهور)، وكان عالما جليلا، وله ديوان من الشعر وبعض المصنفات منها، كتاب انتخاب الجيد من تبيهات السيد، وهو من قرية الدمستان في البحرين ولكنه توفي في القطيف سنة ١١٨١هـ، ودفن في مقبرتها المعروفة بمقبرة الحباكة، راجع ترجمته في (أنوار البدرين: ٢١٧).

١١ ـ السكيت: هو الخيل الذي يجيء في آخر السباق.

بسمه تعالى

يسر هيئة التحرير لمجلة (رسالة القلم) دعوة الاخوة الأعزاء من طلاب العلوم الدينية للمساهمة بأقلامهم وملاحظاتهم، وذلك لإنجاح مجلتهم التي نأمل أن تكون لبنة في بناء كتّاب رساليين يخدمون الإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام.

ملاحظات:

١ ـ المجلة إسلامية ثقافية شاملة.

٢ ـ أبواب المجلة كالتالي:

أ.تفسير وعلوم قرآن
ب. عقائد وعلم كلام
ج.سيرة وتاريخ
د. ثقافة وفكر
هـ علوم حوزوية
و. مفاهيم أخلاقية
ز. أدبيات

٣ ـ يمكن للإخوة الأعزاء من طلاب العلوم الدينية كتابة: مقال، موضوع، بحث شعر، قصة إجراء حوار، متابعات ثقافية... الخ.

٤ ـ لرئيس التحرير الحق في إجراء بعض التعديلات الضرورية على ما يكتب، أو تأخير نشره أو رده إذا لزم الأمر، كل ذلك بعد الرجوع للكاتب مهما أمكن.

٥ ـ ضوابط الكتابة:

أ ـ أن لا يقل الموضوع عن أربع صفحات A٤ برقم خط ١٤.

ب ـ أن تكون الكتابة في جهة واحدة من الورقة، وعدم الكتابة من الخلف.

ج ـ ينبغي مراعاة قواعد الكتابة العلمية، مع ذكر المصادر، على أن تكون جميع الهوامش في نهاية ما يكتب لا في أثنائه.

د. يفضل إرسال الموضوع إلى رئيس التحرير عبر البريد الإلكتروني ralqalam@yahoo.com أو من خلال القرص المدمج CD وإن لم يمكن ذلك، فليكتب الموضوع على ورقة فولسكاب بخط واضح وبالقلم الجاف.

هيئة التحرير

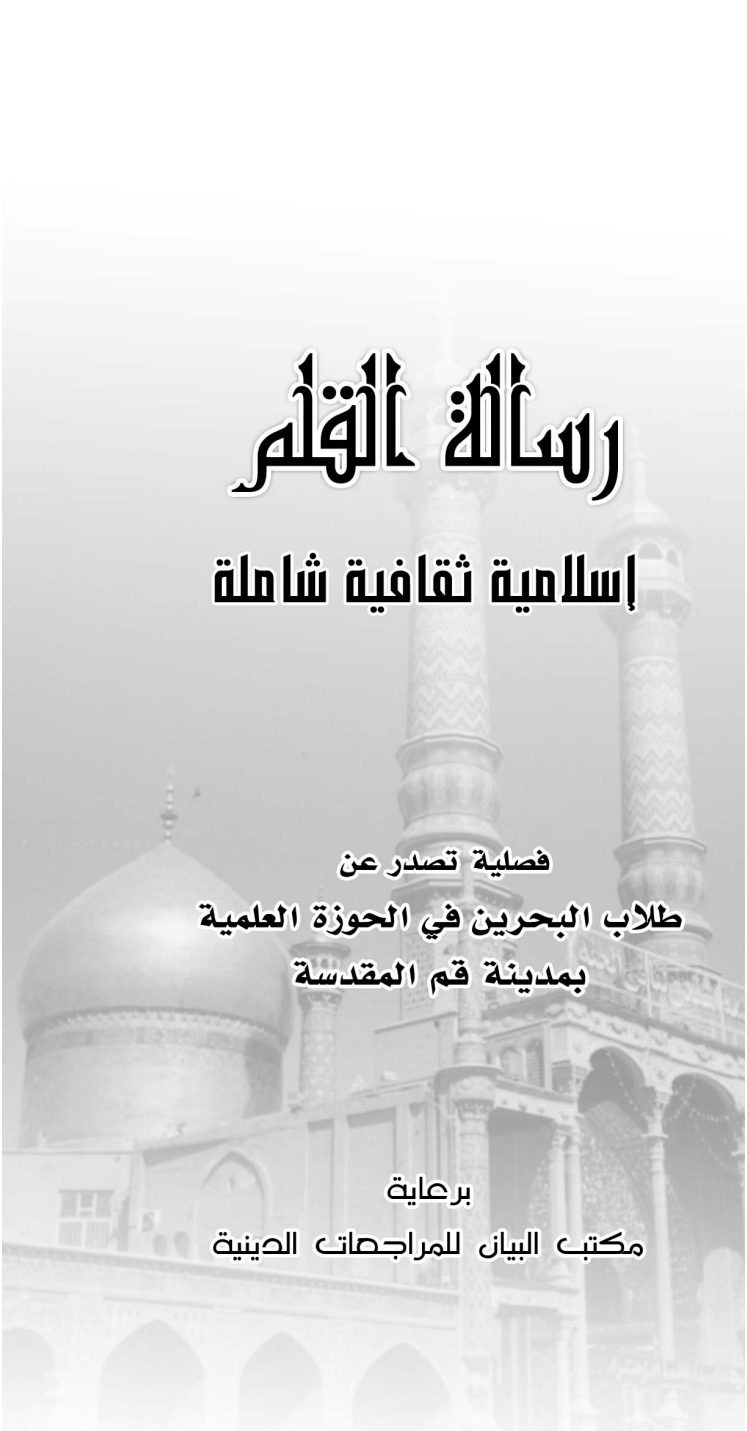

رسالة القلم

إسلامية ثقافية شاملة

فصلية تصدر عن

طلاب البحرين في الحوزة العلمية

بمدينة قم المقدسة

برعاية

مكتب البيان للمراجعات الدينية

استبيان لمجلة رسالة القلم

■ **ما هو رأيك في تصميم غلاف المجلة؟**

ممتاز ○ جيد ○

عادي ○ سيء ويحتاج إلى تغيير ○

■ **ما هو رايك في الإخراج الفني العام للمجلة؟**

ممتاز ○ جيد ○

عادي ○ سيء ويحتاج إلى تغيير ○

■ **ما هو رايك في مستوى الأخطاء المطبعية؟**

كثيرة ○ متوسطة ○

قليلة ○ نادرة ○

■ **ما هو رأيك في ما كتب في المجلة من حيث الطرح كبداية أولية؟**

ممتاز ○ جيد ○

متوسط ○ ضعيف ○

■ **ما هو تقييمك وانتقادك للمجلة بشكل عام؟**

.....

.....

.....

■ **ما هي مقترحاتك من أجل تطوير المجلة؟**

.....

.....

.....

هيئة التحرير

-

إقطع من هنا